الفصل الثالث
نظريات الشخصية

الفصل الثالث

نظريات الشخصية

طبيعة الشخصية:

كلمة الشخصية في أصلها اللغوى مشتقة من الكلمات اللاتينية Per-sona بمعنى القناع الذى كان الممثل المسرحى الإغريقى يضعه على وجهه كلما تطلب منه الموقف التمثيلى أن يغير من طابع الشخصية التى يقوم بدورها على المسرح، ولكنها أصبحت الآن تدور على ألسنه الناس فى الحياة اليومية بمعان مختلفة فيقولون هذا الرجل له شخصية أو «لا شخصية له» أو أن فلانا ذو شخصية قوية أو ضعيفة، كما يتحدثون عن الشخصية المتزنة أو المهزوزة، والشخصية القيادية، والشخصية المنقادة، وقد أختلف العلماء والباحثون في تحديد معنى الشخصية فقد حاول بعض علماء النفس تعريف ووصف الشخصية في ضوء ما يصدر من الفرد من أفعال وأقوال فحسب، وهذا يمثل الاتجاه السطحى في تعريف الشخصية، فى حين تناول البعض الآخر الشخصية بتعمق من حيث التعرف على مكوناتها وتركيبها والديناميات المختلفة الكامنة وراء أشكال السلوك الذى يصدر عن الفرد وهذا يمثل الاتجاه المتعمق فى دراسة الشخصية.

والشخصية عند المدرسة السلوكية هى مجموعة أوجه النشاط التى يمكن الكشف عنها بالملاحظة الفعلية لمدة طويلة تكفى لأخذ فكرة يعتمد عليها عن الشخص».

وعند مدرسة الجشطات الشخصية هى «تنظيم كلي عام من عناصر جسمية وعقلية تحددت بتأثير تفاعل قوى المجال السلوكى للفرد والبيئة (مادية، واقتصادية، واجتماعية)، والذاتية (جسمية، وعقلية، وانفعالية).

أما المدرسة الوظيفية في علم النفس فترى أن الشخصية هى أسلوب توافقى خاص يغلب على سلوك الفرد ويوضح طريقته في حل المشكلات وفي تعامله مع الناس وتذهب مدرسة التحليل النفسى إلى «أن الشخصية تنظيم دينامى داخلى لعوامل نفسية وفسيولوجية تحقق توافق الفرد مع بيئته».

ويرى البورت Allport أن الشخصية هى ذلك التنظيم الديناميكى داخل الفرد والذى ينظم كل الأجهزة انفسية والجسمية التى تملى على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير.

ولا يمكن إغفال تعريف الشخصية كما جاء في قاموس علم النفس لديريفر Drever والذى يحدد الشخصية بأنها تنظيم متكامل ودينامى للخصائص الجسمية (وظائف الجهاز العصبى ووظائف الحواس والغدد) والخصائص العقلية المعرفية (الادراك، التذكر، التفكير،...) والخصائص الأخلاقية (القيم، المثل، المعايير، ....) والخصائص الاجتماعية للفرد كما يظهر للآخرين في أسلوب الأخذ والعطاء في الحياة اليومية.

وهذا يتضمن أساساً الحوافز الطبيعية، والمكتسبة، والعادات، والميول، والعقائد، وكذلك العواطف، والمثل، والأفكار كما يتضح في علاقات

الفرد مع وسطه الاجتماعى ويرى حامد زهران (١٩٧٧) الشخصية بأنها جملة السمات الجسمية، والعقلية، والانفعالية، والاجتماعية التي تميز الشخص عن غيره».

ويتفق مصطفى فهمى في تعريفه للشخصية مع حامد زهران حيث يرى «أن الشخصية هى ذلك التنظيم المتكامل من الصفات، والمميزات، والتركيبات الجسمية، والعقلية، والانفعالية، والاجتماعية التى تبدو فى العلاقات الاجتماعية للفرد والتى تميزه عن غيره من الأفراد تمييزاً واضحاً» ويمكن أن نخلص من التعريفات السابقة بأن الشخصية هى مجموع صفات السلوك الذى يمكن ملاحظته موضوعاً بالإضافة إلى خبرات الفرد الداخلية التى تستطيع أن تعبر عنها ذاتياً وهذا «المجموع» يشكل فى حد ذاته الخصائص المنتظرة لسلوك هذا الفرد عند استجابته المستقبلية للمتغيرات من حوله لأنها أصبحت شعورياً ولا شعورياً طريقة في الحياة أثناء التعامل مع الأفراد والأشياء.

شخصية الفرد إذن هى المجال الذى تتقابل فيه القوى التابعة من داخله مع تلك التى يتعرض لها من خارجه حيث تتم بعد هذه المواجهة عمليات وزن وتحكيم تنتهى باختيار أسلوب السلوك وتصبح طريقته للوصول إلى قرارات الاستجابة عادة نمطية تتكرر فى المواقف المتماثلة وهذا يؤدى إلى القدرة على التنبؤ بسلوك الفرد إذا ما عرفت خصائص شخصيته.

نظريات الشخصية

نظريات الأنماط أو الطرز

هذه النظريات تحاول أن تصنف الشخصيات في فئات أو نماذج أو طرز محددة لكل منها خصائصها المميزة بحيث يمكن وضع كل فرد تحت فئة من هذه الفئات.

وتقوم هذه النظريات أساساً على أن هناك صلة بين الصفات الجسمية والصفات المزاجية أو الخلقية.

وترجع أقدم هذه النظريات إلى حوالى ألفين من السنين عندما وضع أبوقراط الإغريقى تصنيفه الرباعى لأنماط الشخصية وفق المزاج الغالب عليها كالآتى:

١- الطراز الصفراوي: وصاحبه قوى الجسم، حاد الطبع، سريع الغضب.

٢- الطراز السوداوي: وهو متأمل بطئ التفكير، متشائم، منطوى على نفسه.

٣- الطراز الدموى: ويتميز أصحابه بالنشاط والمرح والتفاؤل وسهولة الاستثارة والتغلب من حال إلى حال.

٤- الطراز البلغى أو اللمفاوى: وصاحبه بطئ الاستجابة، بليد، خامل، بدين يميل إلى الشره.

ومن أشهر النظريات الحديثة تصنيف العالم السويسرى كارل يونج الذى يرى أنه يوجد نمطان للشخصية الإنسانية هما:

النمط المنطوى:

وصاحبه يميل إلى العزلة وعدم الاختلاط وتحاشى المواقف الاجتماعية، ويتأثر سلوكه تأثيراً بالغاً بالعوامل الذاتية، وهو شخص دائم التفكير فى نفسه ويخضع سلوكه لمبادئ مطلقة وقوانين صارمة دون مراعاة للظروف ويفتقد المرونة مما يجعله غير قادر على التوافق السريع مع المواقف التى يمر بها، وصاحب هذا النمط كثير الشك فى نوايا الآخرين شديد الحساسية يؤذيه النقد ويسرف فى الاهتمام بصحته ومظهره الخارجى، ويلجأ فى تحقيق التوافق إلى النكوص وأحلام اليقظة.

النمط المنبسط:

ويتميز صاحب هذا النمط بالنشاط والحيوية والميل إلى المشاركة فى الحياة الاجتماعية، يتوافق بسرعة مع المواقف الجديدة ويعتمد على الظروف الخارجية والعوامل البيئية فى توجيه سلوكه، ولديه القدرة على تكوين علاقات اجتماعية ناجحة ولا يبالى بالنقد ولا يخفى انفعالاته، ويحقق التوافق عن طريق التعويض.

أما كريتشمر فقد وزع الأفراد على نمطين:

الشخصية ذات النمط الدورى:

وصاحبها يغلب عليه قصر القامة واستداره الوجه وامتلائه، ويتميز هذا النمط بسرعة التقلب بين الابتهاج، والإكتئاب، والتصريح

بالانفعالات دون تحفظ كما يتميز الفرد من هذا النمط بالاجتماعية والواقعية والتسامح، وعندما يكون الفرد غير متوافق فإنه يصبح سريع الانفعال ولا يقدر المسئولية.

الشخصية ذات النمط الفصامى:

وصاحبها يكون أكثر استقرار في مزاجه، يجد صعوبة فى التعبير عن انفعالاته، مثالى، غير متسامح، وفى حالة عدم توافقه النفسى يصبح متعصباً منطوياً على نفسه، يظهر بمظهر المتبلد ويعيش فى عالمه الخاص.

ومن الواضح أن هذه التصنيفات قديمها وحديثها لا تعتمد على أى منهج علمى ويعاب عليها ما يأتى:

١- أنها تضع حدوداً فاصلة بين الألفاظ بعضها وبعض فى حين أن الواقع يكذب ذلك فأغلب الناس يقعون بين المنبسط والمنطوى، وكما أن معظم الناس ليسوا طوال القامة كما أنهم ليسوا أقزاما بل هم متوسطون فى الطول فكذلك معظم الناس ليسوا منطوين أو منبسطين وإنما هم بين هذا وذاك وإن اختلفت درجة بعدهم أو قربهم من الوسط.

٢- أن الانماط وسيلة لوصف الشخصية أكثر منها نظرية لتفسيرها.

٣- تنظر نظريات الانماط إلي الشخصية من جانب واحد أو جوانب محدودة ولا تلقى بالا لما بين الشخصيات من فوارق أخرى قد تكون هامة.

ومع ذلك، فقد يفيد هذا التصنيف فى مجال الطب العقلى وعلم النفس الإكلينيكى اللذين يدرسان الحالات المرضية المتطرفة والمنحرفة التى تتضح فيها الأنماط على هيئة خصائص ثابتة أو أساليب جامدة تطبع السلوك العام للمريض بطابعها الخاص وتؤثر في استجاباته، كما أنها تنتج فرصة المقارنة بين الأفراد مما قد يساعد في التوجيه الدراسى أو المهنى.

التحليل النفسى والشخصية

النظريات الأساسية: نظرية فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩)

صاحب النظرية: ولد سيجموند فى شهر مايو عن عام ١٨٥٦م فى مدينة فرايبرج بمورافيا بالنمسا لأب متسلط صارم في الأربعين من عمره عن زوجه ثانية كانت في العشرين من عمرها بفارق يبلغ عشرين عاما عن ذلك الأب الذى كان يعمل تاجراً غير ناجح في تجارته، غير مستقر فى إقامته نظرا لمظاهر الاضطهاد الدينى، حيث إنتقلت الإسرة بعد ذلك إلى مدينة فينا حيث التحق سيجموند بكلية الطب في عام ١٨٧٣ رغم عدم شغفه به، حيث لم يكن متاحا له دراسة العلوم البحتة. إلا أنه فى كلية الطب قد إقترب من دراسة الفسيولوجيا بعد اقترابه من أستاذه ارنست بروك. وبعد حصوله على درجته الجامعية فى الطب عام ١٨٨١م عمل طبيباً وباحثاً بمعهد بروك للفسيولوجيا، حيث التقى خلال تلك الرحلة بزميله بروير الذى كان مهتماً بعلاج مجموعة الاعراض التى أطلق عليها لفظ الهستيريا. إلا أن بعثته الدراسية لفرنسا جعلته يتعلم على يد طبيب الأعصاب الفرنسى الشهير «جين شاركو» حيث كان مهتماً بدراسة الأشكال الوظيفية للأمراض العقلية التى لا يلازمها أى تلف عضوى، وقد اهتم فرويد في ذلك الحين بعلاج حالات الهستيريا وخاصة تلك الأعراض المصحوبة بأعراض الشلل، حيث تمكن من التمييز بين الشلل العضوى والشلل الوظيفى.

وبعد عودة فرويد إلى فيينا وافتتاحه لعيادته الخاصة في علاج

الأمراض العصبية، أحس بالفشل في استخدام الطرق التقليدية فى العلاج، فإنتقل إلى استخدام أسلوب التنويم مستفيدا من خبراء التنويم فى ذلك الوقت دكتور بيرنهايم ودكتور ليبيولت، إلا أنه أحس بعد فترة بأن التنويم فى واقع الأمر ليس سوى خدعه يحتال بها على المريض، مما دفعه للعودة إلى زميله القديم «جوزيف بروبر» مشاركاً إياه في أسلوب العلاج وأصدرا عنه كتاباً عام ١٨٩٥ بعنوان «دراسات عن الهستيريا» مؤكدين في الدراسة على أهمية التمييز بين الأحداث العقلية الشعورية واللاشعورية، كما أشار إلى أهمية العامل الدينامى المسمى «بالطاقة النفسية» والتى لابد أن تجد لنفسها متنفساً، وإلا تحولت إلى عرض باثولوجى، ويقوم منهج العلاج على إعادة انحراف مسار الطاقة النفسية والعودة به إلى الطريق السوى حيث يمكن إفراغها، وهكذا تتفتح البذور الأولى التى نبتت عنها قيماً بعد نظرية التحليل النفسى فى عقل فرويد.

تصور التحليل النفسى للانسان:

وتشبه الصورة فى بعض جوانبها ما ذهبت اليه المدرسة الوضعية، فالإنسان كائن شبه آلى راد للفعل محكوم بثلاث قوى طاغية تتمثل فى: الهو والأنا والأنا الأعلى، ويتوافق الإنسان بقدر ما يستطيع أن يوازن بين تلك القوى داخل هذا المثلث، وليس لعقله سوى اعتبار ضئيل فمآل سعيه للفشل، طالما أنه غاص في الدفاعات. وإذا توجه إلى الدين للبحث عن الحقيقة فيه فلابديل سوى العصاب، وفي هذا الصدد يقول فرويد فى كتابه «محاضرات تمهيدية جديدة حول التحليل النفسى» أن الظواهر

الدينية تفهم فقط من خلال نموذج الاضطرابات العصبية المألوفة تماما. والتى تعتبر صدى لأحداث ماضية طواها النسيان، ترجع إلى التاريخ البدائى للعائلة الإنسانية كما يقول أيضا فى كتابة «الأفعال الإستحواذية والممارسات الدينية» مقالات مجمعه، جزء (*): «قد يجرؤ الإنسان على اعتبار الاضطراب العصبى الشديد كجزء متمم لتكوين الدين، ويصف ذلك الاضطراب العصبى كنظام دينى خاص، ويصف الدين كاضطراب عصبى عالمى شديد».

وتعمل الحتمية فعلها أيضاً فى تعميق ذلك الشعور المتشائم للانسان، فهو محكوم بالقوى اللاشعورية الليبيدية في الشخصية، حيث اعتقد «فرويد» ان الطاقة الجنسية (الليبيدو) هى المحرك لسلوك الفرد، وأنه يمكن تفسير معظم جوانبه على أساس أنها تعبير أو إعلاء للدوافع الجنسية، كما اعتقد «فرويد» أيضا أن معظم العمليات النفسية يتم حدوثها دون أن يكون الفرد واعياً بها، أى أنها عمليات لا شعورية، وبذلك تتمحور طبيعة الإنسان كلها حول مفهوم «اللاشعور – وخاصة الهو» باعتباره مخزناً للغرائز والحفزات البدائية والصراعات المؤلمة ومشاعر الذنب المختلفة وجميع ما يهدد احترام الفرد لذاته.

ويرى فرويد أن الاضطرابات الانفعالية تحدث نتيجة لفقد الإنسان سيطرته على الغرائز والحفزات غير المقبولة اجتماعيا أو نتيجة للقلق

(*) (انظر: جوردن البورت: الشخص فى علم النفس، مرجع سابق، ومالك بدرى: علماء المسلمين فى حجر الضب فى المسلم: المعاصر العدد (١٥) يوليو (١٩٧٨)

الناتج عن الشعور بالتهديد المستمر من هذه المحتويات اللاشعورية والتى كبتت في مواقف الصراعات النفسية الجنسية التى واجهها الفرد فى طفولته (عقدة أوديب، وعقدة اليكترا) . وهكذا يجد الإنسان نفسه أمام طريقتين، أما اشباع تام لغرائزه – ومن ثم البربرية – أو إحباط جزئى لغرائزه ومن ثم النمو الثقافى للإنسان. فتقدم الإنسان يستلزم الكبت والعصاب.

ويقوم التحليل النفسى على عدد من المبادئ التى تعتبر بمثابة مسلمات يقبلها كل من يعتقدون فى صحة التصور التحليلى، ومن أهم المسلمات ما يأتى:(*)

١- **مبدأ اللذة**: ووفقا لهذا المبدأ، فالإنسان كما يراه فرويد حيوان باحث عن اللذة. فالإنسان لا تحركه سوى الرغبة فى الحصول على اللذة ومحاولة تجنب الألم.

٢- **مبدأ الواقع**: وهو مبدأ مكتسب يعمل وفقا لحدود الواقع على عكس ما يعمل به مبدأ اللذة. فالإنسان لا يبحث فقط عن اللذة، ولكنه أيضا مرتبط بحدود الواقع الذى يكشف له «أنه في لحظة ما، عليه أن يؤجل لذاته العاجلة المباشرة من أجل لذة أخرى أكثر أهمية من تلك العاجلة».

٣- **مبدأ الثنائية أو الازدواج**: وحياة الانسان وفقا لهذا المبدأ عبارة

(*) (أنظر: عبد السلام عبد الغفار، مقدمة فى الصحة النفسية، دار النهضة العربية، ص٢٨)

عن مجموعة من القوى المتعارضة دائما ويظل الانسان فى حالة من التجاذب والتنافر بين تلك القوى، ومن هنا كان التوتر أمرا مصاحبا لوجود الانسان، وعليه أن يعمل من أجل خفض هذا التوتر.

٤- **مبدأ اجبار التكرار:** وفى هذا المبدأ يؤكد «فرويد» دور العادة وتكرار الخبرات فى سلوك الانسان، فالانسان يميل بطبيعته إلى تكرار الخبرات القوية الماضية التى يمر بها. فما أن يعتاد الانسان على القيام بنشاط ما بطريقة معينة، حتى يميل إلى تكرار هذا النشاط وبنفس الطريقة لدرجة تجعله يؤديه دون كثير من التفكير الشعورى. فالانسان فى نظر فرويد «حيون تسيره العاده» وطالما أنه يميل إلى تكرار كل ما هو ناجح، فإنه كلما زاد تكراره له، أصبح أسلوبا أكثر ثباتا وجمودا فى حياته العادية.

بنية الشخصية:

ينظر فرويد للشخصية باعتبارها تنظيم نفسي أشبه بالبناء بتكون طبقة طبقة، وترتكز العليا على طبقاته السفلى إلى حد بعيد - حيث يميز فرويد بين ثلاث مراتب أو طبقات للحياة العقلية هى:(*)

(*) أنظر: سيد غنيم: سيكولوجية الشخصية، ١٩٧٥، ص (٤٨٩ - ٤٩٥)، عبد السلام عبد الغفار: مرجع سابق، (٢٥-٢٧).

الشعور: ويعنى فى تصوره صفة العمليات العقلية فى استمرارها، أو هو منطقة الوعى الكامل والاتصال بالعالم الخارجى.

ما قبل الشعور: ويعنى به العمليات العقلية التى يستطيع الفرد عن طريق إرادته القوية أن يحضرها إلى حيز الشعور، لأنها تكون فى حالة غياب مؤقت عن العقل لحظات من الزمن ثم عليه عودتها.

اللاشعور: ويمثل الطبقة العميقة، وهو المصدر الأساسى لتفسير كافة الظواهر المنحرفة ولا نستطيع أن نحضره إلى حيز الشعور، ولكننا من الممكن أن نستخرج مكنونه عن طريق بعض الوسائل العلاجية.

ويرى فرويد أن الانسان يولد ولديه مجموعة من الغرائز الجنسية والعدوانية حيال الآخرين، ويقوم الانسان فى أثناء نموه بكبت هذه الغرائز بتأثير العوامل الاجتماعية حتى يستطيع أن يعايش الآخرين.

* كما اعتقد فرويد أن الطاقة الجنسية (الليبدو) هى المحرك لسلوك الفرد، وأنه يمكن تفسير معظم جوانب السلوك على أساس أنه تعبير أو إعلاء للدوافع الجنسية.

* ويعتقد فرويد – أيضا – أن معظم العمليات النفسية يتم حدوثها دون أن يكون الفرد واعياً بها، أى أنها عمليات لا شعورية، ويعتبر اللاشعور بمثابة مخزن للغرائز والحفزات البدائية والصراعات المؤلمة، ومشاعر الذنب المختلفة، وجميع ما يهدد الفرد.

* ويتم إختزان هذه المحتويات فى اللاشعور لأن المجتمع لا يقبل مثل

هذه الحفزات البدائية والغرائز الحيوانية، كالغرائز الجنسية والعدوان، ولهذا تستبعد هذه المحتويات من الشعور إلى اللاشعور عن طريق عملية نفسية معينة وتتم على مستوى لاشعورى تعرف بعملية الكبت، غير أن هذه المحتويات لا تفقد بل تظل هناك في المستودع، وتؤثر على سلوك الفرد دون وعى منه.

* ويعتبر سلوك الإنسان نتيجة للتفاعل الحادث بين ثلاثة أجهزة فى الشخصية وهى: الهو ، والأنا، والأنا الأعلى.

وتتكون الهو من الدوافع البيولوجية التى تنقسم إلى نوعين:

دوافع الحياة وهى الدوافع الجنسية أساساً. وهذه تكون الطاقة الأساسية للحياة ويطلق عليها مفهوم «الليبدو».

أما النوع الثانى من الدوافع فهى دوافع الموت والتحطيم مثل الدوافع العدوانية.

- ويعمل الهو على أساس مبدأ اللذة، فهو يطالب بالأشباع الفرى لما يحتويه من دوافع بيولوجية، ويتصف بالأنانية وعدم قدرته على أخذ الاعتبارات الاجتماعية في الحسبان، ولا يرتبط بالواقع.

- يتمايز عن الهى جزء ينمو ليكون بمثابة الوسيط بين الواقع والهى، هذا الجزء هو الأنا التى تنشأ أساسا لإشباع حاجات الهو، وتعمل الأنا على أساس مبدأ الواقع، وهى تستخدم ما لديها من إمكانات عقلية على نحو يؤدى إلى تحقيق أهداف الهى، وقد تضطر الأنا إلى كبح

جماح الهى، وأرجاء إشباع الدوافع الفطرية حتى يحين الوقت المناسب.

- ثم تقدم النظرية الجهاز الثالث من أجهزة الشخصية وهو «الأنا الأعلى» ويتكون نتيجة لما تتعلمه الأنا من محرمات وقيم خلقية، وتقع تحت ما نسميه «الضمير» وهو يختص بالصواب والخطأ، وينحو الأنا الأعلى من خلال الأنا لكف الهى عن إشباع كل ما يراه المجتمع خطأ أو محرما من الدوافع

وهكذا فالعلاقات بين الأجهزة الثلاثة عى التى تحدد نوع سلوك الانسان. وغالبا ما يكون الصراع بين الهى - بمحتوياتها التى لا يقرها المجتمع - والأنا الأعلى بما تمثله من صواب وخطأ، ويقع على الأنا عبء الوصول إلى حل لهذا الصراع.

مطالب الأنا الاعلى

العمل (أو الاستجابة) | الأنـــا | مطالب الواقع

مطالب الهى

شكل يوضح العلاقة بين الانا والانا الأعلى والهى عن:

كولمان J. Coleman ١٩٧٢

نمو الشخصية :

يعتقد فرويد أن كل طفل يمر بسلسلة من مراحل النمو المتتابعة، وأن الخبرات التى يمر بها الطفل خلال السنوات الخمس الأولى من حياته تحدد ملامح شخصيته في المستقبل، ويمكن أن نشير بإختصار إلى تلك المراحل:

المرحلة الأولى (المرحلة الفميه) :

وتستغرق العام الأول من حياة الطفل، حيث يكون المصدر الرئيسى للأشباع أو تحقق اللذة عن طريق التنبيه اللمسى الناتج عن وضع الأشياء في الفم عن طريق المص أو العض، فالطفل يبدأ عقب الولادة بقليل في استخدام الشفتين في الحصول على الطعام، والذى يعتبر مصدراً لإشباع حاجته وشعوره باللذه .

وقد أطلق «فرويد» «تعبير الشبق الذاتى» على هذه المرحلة حيث يرى أن شفتى الطفل هما أهم الأجهزة الحساسة فى جسمه كما أن المؤثرات التى تأتى من لبن الأم (الدافئ) هى السبب الحقيق لإحساس اللذة وعلى ذلك فإن لذة المناطق الحساسة تصبح «مندمجة» مع لذة الحاجة إلى الغذاء وتصبح الرغبة الجنسية مستقرة على وظائف حفظ الذات ولكنها فى مراحل أخرى تصبح مستقلة. ثم يتابع فرويد تحليله قائلا: «إن كل هذه الرغبات الجنسية حينما تتعرض للكف فإنها تأتى بآثار سيئة وتظهر هذه النتائج السيئة عندما يظهر بعض الأشخاص

المرضى «تقززهم» أثناء الأكل، كما يظهر البعض الآخر حالة القئ، وكل ذلك يعود في الحقيقة إلى استمرار حاله «المرحلة الفمية» وتعرضها لعوامل الإحباط والقمع. (يوسف الجماجي: الشخصية، ١٩٨٦، ١٤)

المرحلة الثانية: (المرحلة الشرجية)

فالمنطقة الشرجية تشبه أيضا «المنطقة الفمية» يستخدمها الطفل لإشباع ميوله الجنسية، وإشباع ذلك عند فرويد فى ملاحظه الطفل عندما يقوم بحبس فضلات الطعام (البراز فترة معينة داخل هذه المنطقة حيث يتراكم قدر كاف منه، مما يسبب له توترات الأمعاء يؤدى إلى الشعور بالألم وعدم الارتياح، ويزيل طرد هذه الفضلات التوتر والقلق، ومع بدء تدريب الطفل على تنظيم عمليات الإخراج في عامه الثانى، عليه أن يتعلم إرجاء اللذة التى يحققها له تخلصه من توتره الشرجى، أى عليه أن يتعلم الخضوع لمبدأ الواقع وأن يقوم بعملية الإخراج حين تصل هذه الضغوط إلى حد معين، وأن يقوم بها فى أماكن معينة وليس فى أى مكان يشاء، وتتوقف نتائج هذا التدريب على الأسلوب الذى تتبعه الأم فى تدريب طفلها على ضبط عملية الإخراج، فإن كان أسلوبا شديداً صارماً فقد يقبض الطفل على فضلاته ويصاب بالإمساك، وحين يعم هذا الأسلوب الاستجابة لمجالات أخرى من السلوك فيما بعد فقد ينمو لدى الشخص نمط العناد والشح، أما إذا كانت الأم من النوع الذى يتودد إلى الطفل ليخرج فضلاته وتسرف فى مديحه عندما يستجيب لذلك، فإن الطفل تتكون لديه فكرة قوامها أن النشاط الإخراجى بأكمله بالغ الأهمية. (هول والندزى، ص٧١)

المرحلة الثالثة (المرحلة الأوديبيه) :

وتبدأ هذه المرحلة مع العام الثالث للطفل، حيث تتزايد اهتمامات الطفل بأعضائه التناسلية، وملاحظة الفروق بين الذكور والإناث، وتمييز جنسه، ولقد عالج فرويد هذه المرحلة باعتبارها مرحلة تمهيدية لاكتمال النمو، ولكى يمر الشخص بنجاح خلال هذه المرحلة حتى يصل إلى النضج التناسلى، يجب عليه أن يحل عقدة أوديب (للولد) أو عقدة إلكترا (للبنت).

بالنسبة لعقدة أوديب، فموضوع الحب الأول للولد هو أمه (أو أى شخص آخر يقوم بهذا الدور)، كما أنه يبحث عن الاستحواذ الكامل لهذا الحب.

ومع ذلك، فإن مثل هذا المسلك يحبطه الوجود المنافس للأب، ويمثل التصاق الولد بالأم والدخول فى منافسه مع الأب «مثلث الحب الأسرى» أو «رومانسية الأسرة» كما يعبر عنها روبرت هوايت (١٩٥٦). وتكون الاستجابة الطبيعية للولد في مثل هذا الموقف هو تنمية مشاعر العدوان تجاه الأب. إلا أنه سوف يدرك من واقع الأمر أن الأب أكثر قوة منه، وأنه يمكنه أن يقابل رغبات الطفل العدوانية بعدوان آخر من جانبه. ولعله من المألوف أن بعض الآباء يستجيبو ن للرابطة بين الأم وطفلها بشئ من الضيق، وبخاصة إذا كان الأب نفسه يشعر ببعض الاضطراب حيال علاقته بزوجته، وقد يضيف هذا أساساً دافعياً إلى انطباع الطفل بالخطر من جانب الاب، وقد عبر فرويد عن هذا الانتقام

الذى يخشاه الطفل الأوديبى من جانب الأب بإسم «الخصاء» بمعنى إيقاع الأذى واقعيا أو رمزيا بالعضو الآثم – القضيب – الذى يعبر عن ذكورته. الأمر الذى يجعل الطفل الذكر يمر بخبره مقلقة تسمى «بقلق الخصاء» تتناسب وقوة دافعه الجنسى نحو الأم ودرجة العدوان المصاحب له ناحية الأب.

وتشير النظرية إلى أن البنت تعيش مشكلة مشابهة تعرف باسم «عقدة الكترا» حيث تبدأ بالارتباط بالأم فى الطفولة المبكرة، ولكن هذا الارتباط يجب أن ينتقل إلى الأب (ولا يعرف لماذا وكيف يحدث هذا الانتقال، هيلين دويتسن (١٩٩٤) وتقريرها فى هذا العدد).

وعندما يصبح الأب موضوع حب البنت، فإنها تواجه بمنافسة من الأم على نحو يماثل لحالة الولد مع أبيه.

المرحلة الرابعة: مرحلة الكمون:

فمع دخول الطفل السادسة من عمره وحتى مشارف المراهقة تحل رومانسية الأسرة على مستوى خفى، حيث يتم كبت المشاعر تجاه الجنس الآخر – كحل للتوتر غير المحتمل، وذلك عن طريق ميكانيزم (أسلوب) التوحد مع المعتدى، حيث يمتص الطفل القيم المرجعية والسلوكية للوالد من نفس الجنس.

ويعتقد فرويد أنه خلال هذه المرحلة بالذات يتكون الأنا الأعلى خلال عملية التوحد الدفاعية، وتختفى الصراعات الأسرية خلال مرحلة

الكمون وحتى المراهقة عندما تختزن الحوافز الجنسية الأسلحة الدفاعية، وتعود عقدة أوديب والكترا إلى الظهور فى كامل قوتهما، حيث يقوم الولد السوى والبنت السوية بحل هاتين العقدتين عن طريق التخلى عن الوالد من الجنس الآخر كموضوع حب جنسى، وإختيار شريك من الجنس الآخر.

وبهذه الطريقة ينتقلان إلى المرحلة التناسلية الناضجة فى مراحل النمو النفسى والجنسى، أما العصابى فهو الذى يظل ملتصقاً – إن جهاز التعبير – بمستوى قبل تناسلى، فيما كان أم شرجيا أم قضيبياً.*

وجهة نظر حول أفكار فرويد والاتجاه التحليلى فى علم النفس:

يعتبر فرويد من أشهر علماء النفس في كل العصور، وقد تمتعت نظريته بانتشار واسع كمجال للبحث وكأساس لعلاج المرضى النفسيين.

أما الآن فلم يعد لكثير من مبادئها النظرة فائدة عملية كبيرة للمدرسين أو لغيرهم ورغم تمسك العديد من الباحثين فى ميدان علم النفس – العرب منهم خاصة – بأفكار فرويد. فلم تلق تلك الأفكار تقديرا كبيرا من بعض السيكولوجيين والسلوكيين منهم خاصة، إذ ترى السلوكية أن آراء فرويد ما هى إلا افتراضات تفتقد الدليل العلمى القوى وأنها نظرية تنقصها الدقة على حد تعبير هدسون سنة ١٩٦٦م.

(Hudson L- Contrary Imaginations Methuen, London, 1966)

(*) الازاروس – ترجمة سيد غنيم – الشخصية، دار الشروق، (١٩٨٤).

ولقد وصفت الطرق التى استخدمها فرويد بأنها طرق غير علمية، وأنه اعتمد فى دراسته على (عينات حالات خاصة من نساء فينسيا المنتميات للطبقة المتوسطة المتعطشة للجنس) بالإضافة إلى أن عدد من شفى باستخدام التحليل النفسى من تلك الحالات كان ضئيلا لا يتجاوز نسبة حدوثه بالصدفة.(*)

لقد بالغ فرويد كثيراً في عرض ما توصل إليه من اكتشافات حتى أن مصطلحات نظريته قد أثرت فى لغتنا اليومية كالعقد والكبت وغيرها.

ويجب الإشارة إلى صعوبة التحقق من آراء علماء النفس التحليلى (Khnr, P. ١٩٧٣) وذلك أنهم لم يولوا اعتباراً كبيراً لقدرة الإنسان على التعديل والتشكيل إذ أنهم أكدوا أن المعالم الرئيسية لشخصية الفرد توضع فى السنوات الأولى للعمر وأنه محتوم عليه أن يعيش بها كما هى بقية حياته.

وفضلا عن ذلك فقد أكدت الدراسات الانثروبولوجية أن السلوك العدوانى يمكن تجنبه وأنه ليس أمرا حتميا في طبيعة الإنسان (انظر: Benedict, R, 1973).

كما أشار التحليليون المحدثين إلى أهمية تأثير الظواهر الاجتماعية كمصدر للدافعية.

(*) (أنظر: تشايلد: علم النفس والمعلم (مترجم) سنة ١٩٨٣، ص٢٤٩، تصدر من مؤسسة (الاهرام/ القاهرة).

والأسئلة التى أثارها أنصار التحليل النفسى أمثال ادلر ويونج مازالت فى حاجة إلى إجابة حتى الآن، والتى تعد من أهم المآخذ على المفاهيم المستخدمة فى النظرية ومنها على سبيل المثال.

هل تصدر دوافع الإنسان عن نفس الأصل الغريزى الثابت والذى لا يقبل التغيير؟ وهل الجنس والعدوان هما بالفعل أساس كل دوافع الإنسان؟ وهل للدوافع اللاشعورية مثل تلك الأهمية التى أعطاها فرويد «حيث يعتبر أساليب سلوك الانسان تعبيرات حتمية لتلك التكوينات اللاشعورية».

وهل السنوات الخمس الأولى فى حياة الإنسان لها ذلك الأثر الثابت فى تكوين شخصيته؟ وما الدور الذى تلعبه خبرات الطفولة المتأخرة؟ – وهل عقدة أوديب ومراحل النمو النفسى الجنسى أشياء عامة بين جميع أفراد الجنس البشرى أم أنها تظهر لدى بعض الأفراد وفى بعض الثقافات؟.

وهل دور الأنا هو حقيقة دور التابع لرغبات الهو والخاضع لها؟ (انظر: سيد غنيم، سيكولوجية الشخصية، دار النهضة ١٩٧٥م ص٥٥٣)

وفيما يلى بعض أوجه النقد التى وجهت للمنهج المستخدم فى نظرية فرويد:

١- القصور الواضح والخطير فى الخطوات التجريبية التى استخدمها فرويد فى اثبات صدق فروضه.

٢- فقد اجريت الملاحظات فى ظروف تفتقر إلى الضبط. فتسجيل ما

يقوله وما يفعله المرضى ساعة العلاج اعتمدت فقط على ذاكرة فرويد.. ولا شك أن عوامل النسيان والتحريف والحذف وغيرها يضعف من عامل الثقة فيما سجله فرويد من معلومات.

٣- ويؤخذ على فرويد قبوله لما يقوله مرضاه، دون التحقق من صحته، عن طريق استخدام أى شكل من أشكال البرهان الخارجى، بالاعتماد على معلومات يحصل عليها من الأقارب أو المعارف أو الوثائق أو نتائج الاختبارات أو غيرها من الوسائل.

٤- تجنب فرويد للمعالجة الرقمية واستخدام الأساليب الإحصائية يجعل من المستحيل التحقق مرة أخرى مما وصل إليه. وعلى سبيل المثال وجد فرويد علاقة بين جنون البارانويا «جنون العظمة والاضطهاد» والجنسية المثلية. فكم عدد الحالات التى درسها وإلى أى الطبقات والأصول تنتمى هذه الحالات؟ وهل ثبت صحة تلك النتيجة لدى محللين نفسيين آخرين/ وما هى الضوابط التى يمكن عن طريقها تعميم مثل هذه النتيجة عن مرضى آخرين؟

٥- كما أن علماء النفس ينتقدون استخدام فرويد في تفسيره لجوانب الشخصية لمفهومات غامضة أقرب إلى التصورات الخرافية منها إلى المفهومات العلمية، منها تشبيه فرويد للشخصية بالمسرح الذى تتصارع فيه قوى الأنا والهو والأنا الأعلى وكأنها قوى لها كيانا خاصاً... ومنها العقد النفسية الموجودة في اللاشعور التى تحاول أن تخرج إلى مستوى الشعور لتثير القلق والاضطراب في الأنا.

وهكذا لا يمكن لمثل هذه التشبيهات والتصورات أن تقيم بنيان نظرية علمية.. تساعد في فهم وتفسير مظاهر السلوك أو التنبؤ به.

التحليليون المنشقون

لقد كانت آراء فرويد حول الغريزة الجنسية من أهم أسباب ظهور حركات الانشقاق بينه وبين زملائه وتلاميذه الذين عارضوا نظرية الجنسية الشاملة Pansexualism (حيث أرجح فرويد كل شئ وفسره على أساس الجنسين) وسنعرض بشكل مختصر لأهم الافكار التى طرحها هؤلاء.

كارل يونج (١٨٧٥ - ١٩٦١) Carl Jung

يعد كارل جوستاف يونج الطبيب النفسى السويسرى الوريث الشرعى لفرويد فى حركة التحليل النفسى وقد اختلف مع فرويد فى عام ١٩١٢ حول ملحوظة فرويد التى ترى أن الليبدو Libido جنسى تماما وموجه نحو اللذة. وكذلك تأكيده على مرحلة الطفولة المبكرة، وعرف يونج الليبدو بأنه الطاقة النفسية الحيوية وليس قاصراً على الطاقة الجنسية.

ومن الأفكار التى قدمها يونج اللاشعور الجمعى Collective Unconscious الذى يجمع ذكريات الاجداد وكذلك علاقاتهم وخبراتهم، بالإضافة إلى الخبرات التى تمر بالفرد والتى تختزن فيما يطلق عليه اللاشعور الشخصى Personal Unconscious والخبرة التى تدخل اللاشعور الشخصى إما أن تكون قد كبتت لا إراديا أو قمعت إراديا باعتبارها ذكرى مؤلمة تسبب الاضطراب للأنا.

(دافيدوف: مدخل علم النفس، ماكجروهيل، ١٩٨٣ ص٥٨٨)

وقدم يونج مصطلح «الذات Self» كجهاز للشخصية يضفى عليها، وحدتها، وتوازنها، وثباتها، وأنها تحرك وتنظم السلوك - كما قال بأن «الأنا هى مركز الشعور وأحد الأنماط الأولية الأساسية للشخصية. وإذا كانت الأنا تعمل على مستوى شعورى والعقد والأنماط الأولية تعمل على مستوى اللاشعور الشخصى واللاشعور الجمعى على التوالى. ومع مضى الزمن يحدث الاندماج بين الشعور واللاشعور داخل الشخص وذلك من خلال عمل الذات التى تعد من أهم الأنماط الأولية على الاطلاق. وتحت مسمى الأنماط النفسية قدم النمط الانبساطى والنمط الانطوائى وفروعهما فى التفكير الوجدانى والحسى والإلهامى. كما قدم مفهوم القناع ليصف به الوجه الذى يتقدم به الشخص للمجتمع أثناء عمليات التوافق مع البيئة الاجتماعية.

وفى الأخير فإن يونج يرى أن الدين عنصر أساسى من عناصر الحياة النفسية يوثر فى صفاء الحياة النفسية للإنسان وإتزانها وهدايتها وتحقيق هدف الحياة.

(حامد زهران: الصحة النفسية، عالم الكتب، ١٩٧٨ ص٧٠)

الفريد أدلر (١٨٧٠ - ١٩٣٧) Adler

الطبيب النفسى النمساوى الذى كان عضوا في جماعة فرويد الأصلية والتى انشقت عنه فيما بعد، وقد شعر هو الآخر بل قبل يونج بمدى مبالغة فرويد فى تقدير أهمية الجنس. لذا فقد ركز على التأثيرات

الثقافية في السلوك مفترضا أن الشخصية اجتماعية بفطرتها وأن الشعور بالنقص يتوسط الدافعية الإنسانية، حيث يقول «إنى بدأت أرى بوضوح فى كل ظاهرة نفسية السعى وراء التفوق.. إن القوى الدافعة من السالب إلى الموجب لا تنتهى أبداً، كما أن الإلحاح من أدنى إلى أعلى لا يتوقف مطلقاً». (عن: دافيدوف: مرجع سابق: ص٥٨٩)

من تلك المقدمة يتضح أهتمام أدلر بالمؤثرات الثقافية والاجتماعية والميل الاجتماعى فى تكوين «إسلوب الحياة» فهو يرى أن الشخص العصابى تتغلب لديه الأهداف الأنانية وتحل محل الميل الاجتماعى. وأكد على أهمية العلاقات الدينامية داخل الأسرة فى تحديد أسلوب حياة الفرد وركز على العلاقات بين الوالدين والطفل، واهتم بسيكولوجية الطفل المدلل والطفل المكروه ومدى أهمية الترتيب الولادى للطفل كما تحدث عن مفهوم الذات ومفهوم الآخرين، والذات المبتكرة كعنصر دينامى نشط فى حياة الشخص تبحث عن الخبرات التى تنتهى بتجديد أسلوب حياة الشخص.

وتعتبر نظرية أدلر فى الشخصية عكس نظرية فرويد من وجوه عديدة، فبينما رأى فرويد الأفراد فى صراع مستمر الواحد مع الآخر ومع المجتمع، رأى أدلر أنهم يبحثون عن الرفقة والانسجام. وفى الوقت الذى تجاهل فيه فرويد أسئلة تتصل بمعنى الحياة وبآثار مطامح الفرد وتوقعاته على الحياة، جعل أدلر من هذه الأسئلة جزءاً رئيسياً من نظريته، فالحياة النفسية للفرد تتحدد تبعا للغاية التى يتجه إليها الفرد،

وينبع ذلك من حاجة الكائن الحى للتوافق مع البيئة التى يعيش فيها. وبينما رأى فرويد أن العقل يتألف من مكونات مختلفة كثيرا ما تكون فى صراع الواحد مع الآخر، نظر أدلر إلى العقل على أنه كل متكامل يعمل للمساعدة على تحقيق المرامى المستقبلية للفرد. وهكذا كان لمصطلح «علم النفس الفردى» الذى قدمه أدلر معنى يوضح وجهته فى البحث فالناس رغم تفردهم إلا أنهم يتميزون بإنسجام داخلى وبكفاح ليتعاونوا مع غيرهم من بنى الإنسان، وليسوا كما يرى فرويد مدفوعين على نحو أنانى لإشباع حوافزهم البيولوجية.

(جابر عبد الحميد: نظريات الشخصية، النهضة المصرية، ١٩٨٦).

التحليليون الجدد

كارين هورنى (١٨٨٥ - ١٩٥٢) Horney

درست كارين هورنى عالمه التحليل النفسى الالمانية التحليل النفسى تحت أحد تابعى فرويد، ثم انتقلت بعد ذلك وأصبحت من المؤثرين فى دوائر التحليل النفسى فى امريكا.

تقول هورنى فى كتابها «صراعاتنا الداخلية» (١٩٤٥): أعتقد أن الإنسان لديه القدرة والرغبة فى تنمية إمكانياته، وأن يصبح إنساناً وديعا، هذه الإمكانيات تذبل إذا استمرت علاقاته مع الآخرين - وبالتالى مع نفسه - فى حالة اضطراب، وإنى اعتقد أن الإنسان يمكنه أن يغير ويظل يغير طالما كان على قيد الحياة، وقد نمى هذا الاعتقاد مصحوبا بفهم أعمق. فليس الطفل وحده هو المرن القابل للتشكيل بل أننا جميعا لدينا القدرة على التغير. وعلى الإنسان أن يكون فاضلا ولكن ليس على نحو متكلف، كما يجب أن يهدف للكمال إذا أراد بلوغ السعادة، وأن يخضع السلوك العصابى لعوامل الضبط والتحكم!! وتذهب هورنى إلى أن الثقافة المعاصره (الثقافة الغربية التى عاشت فيها) من شأنها أن تخلق قدراً كبيراً من القلق فى الفرد الذى يعيش فى تلك الثقافة.

كما تذهب إلى أن المرض النفسى أو العصاب هو المصاحب الطبيعى للإنسان الذى يعيش فى مثل هذا المجتمع الصناعى اليوم. (انظر: سيد غنيم، مرجع سابق، ص٥٥٦).

وترى هورنى أن الأمراض العصابية ولا سيما الشعور بالنقص يحدث كنتيجة لاضطراب فى علاقات الأنا بالغير، ولهذا فهى ترى أن العصابى والسوى يختلفان بالنسبة للحضارات، وحتى بمرور الزمن داخل الحضارةالواحدة.

فللعصاب أسباب نفسية اجتماعية، وهى عديدة، من أهمها الحرمان الاجتماعى، فهى أسباب تنشأ من البيئة، من المدنية المعاصرة.. من التنافس والقلق والمخاوف لدى الفرد فى مجتمع لا يوفر له الأمن والاطمئنان.

ويقوم **بيشوف** (١٩٦٤) أساليب التوافق الإساسية عند هورنى فى ظل التخطيط البسيط.

النمط الأول: (خضوع): التحرك نحو الناس: (الطفل).

«إذا كنت تحبنى فلا تؤذينى» فعن طريق تقبل الخضوع لحل الصراع، يأمل الطفل أن يكسب عطف الآخرين، وبذلك يجعلهم يحلون صراعاتهم معه.

النمط الثانى: (عدوان) التحرك ضد الناس: (المراهق)

«إذا كانت لدى قوة.. فلن يستطيع أحد أن يؤذينى» فهذا النمط من الناس يفترض أن العالم من حوله عالم عدوانى حافل بالعوامل المعاكسة، ولذا فأفضل سبيل للتغلب على الصراع وخفض التوتر هو ضبط العناصر العدوانية فى الحياة».

النمط الثالث: (ابتعاد) التحرك بعيدا عن الناس: (الراشد)

«إذا ابتعدت .. فلن يصيبنى أو يؤذينى شئ» فعن طريق الابتعاد جسمياً وعقلياً يمكنه أن يحل صراعاته».

(إنظر: سيد غنيم سيكولوجية الشخصية: النهضة العربية، ١٩٧٥ ص٥٥٨)

هارى ستاك سوليفان (١٨٩٢ - ١٩٤٩) Sullivan

طبيب نفسى أمريكى يقف مع أدلر وهورنى في التأكيد على العلاقات الاجتماعية. وقد اعتقد أن كلا من السلوك المقبول أو المنحرف يتم تشكيله عن طريق التفاعلات مع الوالدين خلال عملية التنشئة أو التطبيع الاجتماعى فى الطفولة. وقد ركز سوليفان على تطور مفهوم الذات كإحساس «طيب» أو «ردئ» كما تلعب دينامية الذات دوراً هاماً فى تنظيم السلوك وفى تحقيق الحاجة للقبول والتقبل. كما افترض أن الناس مدفوعون بنوعين من الحاجات: حاجات الأمن والحاجات البيولوجية.

يعرف سوليفان الشخصية بأنها «النمط المستمر نسبيا للمواقف الشخصية المتبادلة التى تميز الحياة الإنسانية» فالشخصية توجد حيث توجد العلاقات المتبادلة بين الأفراد، فوحدة الدراسة فى نظره هى الموقف الشخصى المتبادل وليس الشخص.

وعن نظام التوتر يذهب سوليفان إلى أن هدف الإنسان هو خفض حدة التوتر، هذا التوتر الذى يمكن أن يتراوح بين مستوى الخلو التام من التوتر، ومستوى التوتر المطلق الذى يقرب من حالات الذهان. وتنشأ

تلك التوترات من مصدرين هما الحاجات العضوية البيولوجية والحاجات الأمنية التى تنشأ عن مشاعر القلق.

والقلق فى نظر سوليفان هو أحد المحركات الأولية في حياة الفرد، هو وإن كان وثيق الارتباط بالتوتر، إلا أنه أكثر من أن يصبح تابعاً له.

فالقلق هدام بناء فى الوقت نفسه، فالبسيط يمكن أن يفيد الإنسان ويبعده عن الخطر، أما القلق الشامل الكلى فيؤدى إلى اضطراب كامل فى الشخصية، ويجعله عاجزا عن التفكير السليم أو القيام بأى عمل عقلى.

ويقدم سوليفان وصفا لمراحل نمو الشخصية هى: الطفولة المبكرة التى يتركز التفاعل فيها بين الرضيع والبيئة حول المنطقة الفمية: والطفولة التى تمتد من العام الثانى حتى العام الخامس والتى تتميز بظهور الكلام والحاجة لزملاء اللعب.

وفترة الصبا تمتد من السادسة حتى الحادية عشرة وتتميز بأنها فترة كمون، يقل فيها اعتماد الطفل على الأم وتتسع علاقاته الاجتماعية المتبادلة مع العالم الخارجى. أما فترة ما قبل المراهقة من ١١-١٣ سنة فتتميز بالحاجة إلى الأصدقاء من نفس الجنس، تقوم فيها العلاقات على أساس من التساوى والتكافؤ، كما تبدأ بوادر الاستقلال والاعتماد على النفس. وفى المراهقة المبكرة (من١٣-١٧ سنة) يخبر المراهق التغيرات الفسيولوجية للبلوغ، وفى المراهقة المتأخرة ما بين ١٧-١٩ سنة وحتى

أوائل العشرينات يعيش مرحلة تكامل وإستقرار فى نظام الذات وفيها تنمو الخبرة المعرفية وتتسم العلاقات الاجتماعية بالأمن القوى ضد القلق. وأخيرا تمتد مرحلة الرشد من ٢٠ - إلى ٣٠ سنة وما بعدها وفيها يكون المجتمع قد أتم تحويل الفرد بفضل العلاقات الاجتماعية المتبادلة إلى حد كبير من كائن حى إلى كائن حى اجتماعى.

إريك اريكسون ولد عام (١٩٠٢) E. Erikson

وهو معروف بنظريته النمائية، وبدراساته الثاقبة فى تحليل تاريخ الحياة النفسى، حيث استخدم مفاهيمه الخاصة فى تحليل حياة بعض الشخصيات مثل غاندى ومارتن لوثر. وقد أدخل اريكسون تعديلا على نظرية فرويد فى النمو النفسى الجنسى فى ناحيتين أساسيتين هما: التأكيد على التفاعل المتبادل بين المحتوى الاجتماعى والمراحل البيولوجية، والأخرى تنطلق بتوسيع مراحل النمو إلى ثمان مراحل هى:

١- الثقة فى مقابل عدم الثقة: حيث تمتد خلال العام الأول المقابل للمرحلة الفمية عند فرويد، وتعد علاقة الطفل بالام حجر الزاوية فى هذه المرحلة، فإما الإشباع، والأمان، والدفء، والراحة (ثقة) وإما عدم الإشباع والمخاوف والشكوك (عدم ثقة) وذلك عندما تفشل الأمهات فى إشباع حاجات صغارهن.

٢- الاستقلال الذاتى مقابل الخجل والشك: في العالم الثانى تنمو طاقات الأطفال بسرعة فهم يحبون الجرى والدفع والشد فإما التسامح تجاه

ما يفعلون فتنمو قدراتهم، ويقفون على أقدامهم ويختبرون قدرتهم على ضبط أنفسهم فيكون (الإحساس بالاستقلال الذاتي) وإما الاستعجال أو الكف أو العقاب من قبل الوالدين تجاه اختيار صغارهم لإمكانياتهم فيتعرضون (لمشاعر الخجل والشك).

٣- المبادأة مقابل الشعور بالإثم: فهم بين الثالثة والخامسة نشطون يجرون ويتشاجرون ويتسلقون، فهم فخورون بقدرتهم على مواجهة المشكلات وإعاده تشكيل البيئة، فقد اكتسبوا اللغة، وأصبحوا قادرين على التخيل واللعب الإيهامى، فإذا فهم الوالدان وقبلا ذلك الدور النشط لأطفالهم، فسوف يتعلمون الاقتراب مما يرغبون كما يعزز إحساسهم بالمبادأة - أما إذا كانا غير صبورين يعاقبون أطفالهم ويعتبرون اللعب والأسئلة والأنشطة أموراً حمقاء وخاطئة من قبل الطفل فسوف يشعر بالذنب وأنه غير جدير بالثقة.

٤- الإحساس بالكفاءة في مقابل الدونية: بين السادسة والثانية عشرة يدخل الطفل عالم المدرسة بأهدافه وضوابطة ونتائجه المرتبطة بالفشل أو النجاح، فالأطفال هنا يواجهون التحدي إما أن يكونوا ناجحين يشعرون بالكفاءة والسرور في العمل، وإما يشعرون بأنهم أقل كفاءة من أقرانهم في الإمكانيات والقدرات فينمو لديهم الإحساس بالدونية والنقص.

٥- الهوية الذاتية مقابل الغموض: حيث يواجه المراهق أزمة الهوية، فعليه أن يجيب على أسئلة من النوع: من أنا؟ .. وماذا أكون؟ ..

وماذا أريد أن أكون؟ .. فعليه أن يجمع بين العديد من التصورات في تصور واحد يختار مهنة ونمطا للحياة. فالمراهق الذي أحرز الثقة والاستقلال الذاتي والمبادأة يمكن أن يجد ذاته على نحو أكثر سهولة. أما إذا تغلبت هذه الأزمة عليه فإن مستقبله المهني والعاطفي وصحته النفسية تصبح في مهب الريح ويتخلله كثير من المفاجآت غير السارة.

٦- الألفة في مقابل العزلة: في مرحلة الرشد المبكر يكون الفرد مستعداً لتكوين الروابط الاجتماعية الدائمة التي تتميز بالاهتمام والمشاركة والثقة فالأفراد الذين ينقصهم الإحساس بالهوية الذاتية سوف يجدون صعوبة في تكوين علاقات صحيحة، فهم معزولون وأحيانا يقيمون علاقات محدودة تنقصها التلقائية والأصالة.

٧- التدفق مقابل الركود: يختار الراشد في منتصف العمر بين التدفق والإنتاجية والاهتمام بالآخرين وبين الانشغال بالذات والركود، فالذين يخففون في ترسيخ الإحساس بالإنتاجية تسيطر عليهم حاجاتهم الشخصية فهم لا يهتمون بالآخرين، في حين يهتم المنتجون بجعل العالم مكاناً أحسن.

٨- التكامل مقابل اليأس والقنوط: فعندما تقترب الحياة من نهايتها، فإن المسنين يواجهون تلك الأزمة، فيظهر التكامل عندما ينظر الشخص إلى الخلف فيشعر بالقناعة ويقبل على حياته على اعتبار أنها ذات قيمة، في حين يظهر اليأس عند هؤلاء الذين يجدون أن ماضيهم

خال من المعنى وأن حياتهم كانت شيئا ضائعا فهم يشعرون باليأس وعدم الرضا. ويبدو الوقت وكأنه انتهى، وهم في انتظار الموت المخيف.

وباختصار فإن أريسكون يرى أن ثمة توازنا بين الاتجاهات الاجتماعية أو الشخصية المتبادلة والعمليات البيولوجية المتطلبة فى المراحل النفسية الجنسية المختلفة، ويشير إلى توقف كل منهما على الآخر، والأسلوب الأساسي للاستجابة يحدد العمليات البيولوجية المميزة للمرحلة المعينة – كما أن التعبير الجسمى والاجتماعى يتأثر أيضا بالظروف الشخصية المتبادلة التى يجد الطفل فيها نفسه. ولقد أهتم أريسكون في تحليله – وبصورة أكثر مما لدى فرويد – بالمظاهر الشخصية المتبادلة لكل مرحلة نفسية جنسية.

(لازاروس: مرجع سابق: ص٨٤)

التصور "الوضعى – السلوكى" للإنسان

شهدت السنوات الأولى من القرن العشرين نمواً كبيراً في فلسفة العلم وقد برزت في تلك الفترة فكرتان كان لهما أثر هام في العلوم الانسانية بشكل عام وعلم النفس بشكل خاص هاتان الفكرتان هما: «الوضعية المنطقيةوالإجرائية».

أما الوضعية المنطقية: فهى اتجاه فلسفى يعول أساساً على التجربة وتحقيقاً للدقة والتحليل المنطقي للغة العلماء ولغة الحديث وبعدها المصدر الوحيد للمعرفة وليس للعقل من عمل إلا مجرد تنسيق معطيات تلك المعرفة وتنظيمها. وكلمة وضعية معناها أنه يرفض أية تفسيرات ميتافيزيقية، والمنطقية مقصود بها أن هذا الاتجاه يحاول أن يكون متماسكاً ومتحرراً من التناقض الداخلى. أما الإجرائية فهى شبيهه بالوضعية المنطقية إلا أنها أكثر اهتماماً بمسألة القيام بالملاحظات العلمية وحصر التعبير العلمي فيما يمكن أن يقال من وقائع قابلة للملاحظة.

لقد كانت فكرتين هامتين حقا ولكنهما تجاوزتا كثيرا دورهما فى علم النفس، وأن الأزمة الحالية في علم النفس، ترجع إلى الإصرار على التمسك بالموقف الذي تمثله فكرتا الوضعية المنطقية والتجريبية، ولذا فقد أصبح الجو الفكري الذي نتج عنهما جوا مثبطاً للتقدم العلمى في جوانب عديدة من علم النفس.

وترجع العديد من التصورات الراهنة فى علم النفس إلى تلك الخلفية

الفلسفية، بل وتعود بتصوراتها إلى أصول تلك الفلسفات. فالكائنات العضوية عامة ومن بينها الإنسان لا تتوفر لديها أى معرفة فطرية، فهى تولد وعقولها صفحة بيضاء.

وتتكون المعرفة من الإحساسات الأولية كالسمع، والبصر، والشم، واللمس وغيرها عن طريق الارتباطات التى تحدث بينها عن طريق الاقتران المكاني أو الزماني. والتي تؤدى بدورها إلى أفكار أكثر تعقيدا تحت نفس شروط الاقتران. ثم طورت أفكار «أرسطو» على يد مجموعة من الفلاسفة الانجليز أطلق عليهم «الترابطيون» في الفترة (١٦٥٠ - ١٨٥٠) من أمثال «هوبز»، و«لوك»، و«جيمس مل»، و«جون ستيورات مل»، و«هارتلى» وانتقلت تلك الأفكار الفلسفية إلى أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر حيث امتزجت بالفكر البرجماتى العملى وتبلورت في التربية عن طريق الاهتمام بوظيفة السلوك وفائدته ومنفعته وتمخضت تلك التصورات عن ظهور الاتجاه السلوكى فى علم النفس على يد «جون واطسون» وزملائه من أمثال «ثورنديك»، و«جاثرى»، و«هل»، و«ميل»، و«سبنسر» وفى النهاية على يد «سكنر» الذي يعتبر الأكثر شهرة وتأثيراً في الوقت الحاضر.(*)

المسلمات التي تقوم عليها النظرية السلوكية:

تقوم النظرية السلوكية على أساس عدد من المسلمات يمكن إنجازها

(*) (أنظر: جيمس ديز وآخرون سيكولوجية التعلم: ترجمة فؤاد أبو حطب وآخرون، الأهرام: القاهرة ١٩٨٣، ص١٦-١٧).

فيما يلي: (انظر: عبد السلام عبد الغفار مقدمة فى الصحة النفسية ١٩٩: ص٣٣)(*)

١- أن علم النفس هو علم السلوك والسلوك هو جميع أوجه نشاط الفرد التي يقوم بها والتي يمكن ملاحظتها، وهو علم موضوعى يعتمد على البيانات التجريبية والدلالات التى يمكن ملاحظتها، وليس فى هذا العلم مجال لمفاهيم كثر الحديث عنها فى علم النفس - «يقصد مفاهيم التحليل النفسى».

٢- انه يمكن اختزال السلوك الانسانى إلى عمليات فسيوكيمياذية كما يمكن تفسير سلوك الإنسان في ضوء ما يحدث من تغيرات فسيولوجية ونيرولوجية. ويصبح السلوك عبارة عن تنظيمات من وحدات صغيرة يعبر عنها بالرابطة «م - س» والارتباط بين م، س ارتباط فسيو كيميائى.

٣- يسلم السلوكيون بالحتمية النفسية بمعنى حتمية الاستجابة إذا تعرض الإنسان لمثير ما وأنه من الممكن التنبؤ بنوع الاستجابة التي سيثيرها مثير معين وكذلك من الممكن التعرف على ما أدى إلى استجابة معينة من مثيرات.

٤- العوامل البيئية هى العوامل الرئيسية التي تعمل على تكوين شخصية الفرد. ولذا فالشخصية عندهم عبارة عن التنظيمات والأساليب السلوكية المتعلمة والثابتة نسبياً والتى تميز الفرد عن غيره. فالعادات

(*) عن: (واطسون ١٩١٩).

هى محور الشخصية، ويعبر «سكنر» عن هذه النقطة في لقاء جرى معه مؤخراً (ابريل ١٩٨٨) فيقول. والجديد الذي قدمته هو إظهار كيف أن البيئة توثر فعلا على السلوك، وأننا ما إن ندرك أهمية التاريخ الشخصى، حتى يقل ميلنا إلى دراسة العقل أو الجسم لنحصل على تفسيرات.

وهكذا يرى علم النفس الوضعى الانسان باعتباره كائناً حياً راداً للفعل كما تعتبره السلوكية «حيوانا عاقلا أو رهينه عاجزة حيال ما يقع من تأثيرات تؤدى إلى تشكيله» فهو يشبه الموضوعات غير الحية أيضا كالماكينات أو الالات ويشير «سكنر» (١٩٨٠ ص٢٠١) إلى ذلك بقوله «الإنسان آله بمعنى أنه نظام معقد يسلك بطرق لها قواعد، وقوانين غير أن التعقيد فيها تعقيد غير عادي وأن قدرته على التكيف مع ظروف وإجراءات التعزيز ربما تحاكيها وتقلدها الآلات آخر الأمر، ولكن هذه المحاكاة لم تتم بعد وسيظل النظام الذي تتم محاكاته بهذه الطريقة نظاماً فريداً بطريقة أو بأخرى. «ولا تدعى المدرسة السلوكية أنها تنظر إلى الإنسان نظرة إجمالية بل أن مهمتها تقتصر على فحص الوقائع الصغيرة تحت الشروط المضبوطة، فكليات السلوك غير حقيقية ولذا يعمد العالم السلوكى إلى إغفالها أما الجوانب الجزئية والفيزيائية، والشبه ميكانيكية، والمنظمة، والمنطقية، والتى يمكن ضبطها فهى التي تؤدي إلى نتائج أكثر ثباتاً ورسوخاً.

وتهتم المدرسة السلوكية بالكشف عن القواعد والقوانين العامة للسلوك

(*) (أنظر: مقابلة مع ب. ف سكنرفى: الثقافة العالمية، ص١٠٢)

الإنساني. فمن الجدير بالاحترام والعلمية أن توجد المتوسطات والإحصاءات المختلفة للعينات بدلاً من دراسة أسلوب حياة الشخص.

وتتمثل المشكلة الحقيقية في تصور العالم السلوكى أنه لا يعرف (أو نادراً ما يعرف) أنه حبيس نظرة فلسفية معينة، وكذلك حبيس فترة حضارية معينة، وحبيس تعريف ضيق للعلم، فقد ظلت السلوكية حبيسة لفكرة الحتمية عند جون لوك وعلى الرغم من عدم التمسك الصارم لعلماء النفس الأمريكيين بالحتمية الصارمة، الا أنهم مازالوا يؤكدون على أهمية الاقتران الشرطى، وعلى التأكيد بأن معتقدات الناس وقيمهم يتم تناولها بواسطة المجتمع من خلال الثواب والعقاب. وهكذا فالسلوكية تأخذ فكرة الحتمية وشبه الميكانيكية بالنسبة للإنسان كقضية مسلم بها، ويجب ألا تخضع للاختبار أو التمحيص.(*)

وأسوأ ما يمكن أن يقال عن الوضعية بشكل عام والسلوكية بشكل خاص، أنها قد قصرت نفسها على «التمركز حول الطريقة» أكثر من التمركز حول «المشكلة» فقد أوجدت صفاً من الوقائع المتفرقة الجزئية على حساب النظرة المترابطة للشخص الإنسانى ككل. ولاشك أنه من غير الإنصاف توجيه اللوم إلى النظرة الوضعية والسلوكية في العلوم النفسية والاجتماعية على الورطة التي وضعت الإنسانية فيها، على

(*) (أنظر جوردن البورت: الشخص فى علم النفس، ص٦١ في: علم النفس الإنسانى فرانك سيفيرين وترجمة، طلعت منصور وآخرون الأنجلو المصرية ١٩٧٨).

الرغم من حدوث ذلك بالفعل، فالوضعية أو السلوكية ليست إلا انعكاساً أكثر من أن تكون سبباً للنظرة الجزئية الذرية للشخصية.

ويضيف «كولمان» بان العلوم السلوكية بما فيها علم النفس لم تزودنا بصورة عن الإنسان القادر على صنع الديمقراطية والعيش فيها. بل وضعت فى أيدينا علم نفس لكائن عضوي فارغ empty Organism يتحرك بالحوافز ويتعدل بالظروف البيئية.

فلم يجذب انتباه أصحاب النظام السلوكى أساساً إلا كل ما هو صغير وجزئى، كل ما هو خارجى، وإلى كل ما هو طرفى وقائم على تحين الفرص.(*)

(*) (أنظر: جيمس كولمان: الآراء المتعارضة في طبيعة الإنسان الأساسية، ص٩١، فى: علم النفس الإنسانى إعداد فرانك سيفيرين ترجمة طلعت منصور وآخرون، ١٩٧٨).

الشخصية عند أصحاب الاتجاه السلوكى

بدأ علماء النفس السلوكيون اهتمامهم بمشكلات التعلم، ثم وسعوا مجالات اهتمامهم فشملت الشخصية والعلاج وغيرها من أنشطة الفرد فى حياته اليومية. وعندما نتحدث عن السلوكية فسوف نذكر أصولها عند إيفان بافلوف وجون واطسون وادوارد لى ثورنديك وسكنر – ولقد كان لعملية الإشتراط الدور الأهم في تفسير عملية التعلم، ثم امتد ليشمل جوانب أخرى أكثر تعقيداً في السلوك، كمجالات العلاج كما فعل دولارد وميللر.

بنية الشخصية

لم يهتم سكنر ببنيه الشخصية ويرجع عدم اهتمامه ببنية الشخصية تأكيده على تغير السلوك وتعديله وعلى كيفية حدوث هذا التغير والتأكيد على ضبطه، فما هو قابل للضبط قابل للتعديل أصلا.

وعلى ذلك فالشخصية فى رأى سكنر عبارة عن خيال أو وهم في جوهرها. فالناس يرون ما يفعله الآخرون ويستنتجون الخصائص المضمره (الدوافع، والسمات، والقدرات) الموجودة أصلا في ذهن صاحبها. ففي رأيه أن التركيز يجب أن يكون على ما يفعله الكائن. فالاستعدادات الداخلية وحدها غير كافية لتفسير السلوك.

مفهوم العادة والتعلم والعلاج:

إذا جاز لنا القول بأن مفهوم الشخصية عند السلوكيين هو مجموعة الأساليب السلوكية المتعلمة الثابتة نسبياً (العادات) التي تميز الفرد عن

غيره من الناس - فإن مفهوم العادة يصبح هو المفهوم الأساسي في النظرية، فالعادات هى روابط بين مثيرات واستجابات يتعلمها الإنسان ويكتسبها، ويصبح موضوع التعلم هو المحور الرئيسي للنظرية، ويدور الاهتمام حول الأساليب التى تعلم بها الكائن وهناك عدد من الأساليب أو الآليات التي يمكن بواسطتها تعديل السلوك منها.

١- **التعزيز**: فإستخدام الأساليب المختلفة للتعزيز بدقة وعناية يمكننا من تشكيل سلوك الكائن الحي كما أن أساليب العلاج التي تهدف إلى تنمية عادات إيجابية والتخلص من العادات غير المقبولة اجتماعيا يمكن أن تتم باستخدام التعزيز.

٢- **الانطفاء**: ويحدث عندما تتكرر الاستجابة بدون تقديم تدعيم فمشاعر الذنب والمخاوف والتعبيرات التي لا يقبلها المجتمع تنطفئ عندما لا تدعم. وقد وجد الإنسانيون أن الانطفاء يحدث عندما لا تقابل مثل هذه المشاعر بالنقد من قبل المعالج أى عندما يكون في الموقف تسامح من قبل المعالج.

٣- التعميم: فآثار التعلم في موقف ما قد تنتقل إلى مواقف أخرى وكلما قل التشابه بين المثيرات قل حدوث الانتقال. فالتدعيم من أجل القيام بإستجابة خاصة بنمط معين من الأدلة (المثيرات). من شأنه أن يقوى ليس فقط نزعة هذا النمط لإحداث تلك الاستجابة. بل يقوى كذلك الأنماط المتشابهة من الأدلة.

مثال: فالطفل الذي عضه الكلب مرة يخاف من بقية الحيوانات الأخرى وبوجه خاص الكلاب أكثر من خوفه من القطط أو الخيل مثلا.

٤- **التشريط المضاد:** وقد قدم وليه Wolpe ١٩٥٩ هذا الأسلوب اشتقاقا من مبادئ التعلم ويتلخص فيما يلى:

«إذا أمكن ظهور استجابات قوية مضادة لردود الأفعال القلقة مع وجود الأدلة (المثيرات) المثيرة للقلق، فإن هذه الاستجابات المضادة سوف ترتبط بهذه الأدلة ومن ثم تضعف أو تبعد استجابات القلق.

وقد استخدمت العقاقير المسببه للغثيان Emetine الإمتين كمثير غير شرطى في العلاج المنفر أو المضاد للمشروبات الكحولية. ففى عدد من الجلسات (ما بين ٨ – ١٠ جلسات علاجية) تقترن فيها رؤية المشروب الكحولى وشمه وتذوقه مع حدوث حالة الغثيان، وجد أنه يحدث إمتناع عن تناول المشروبات الكحولية ففى كل مائة حالة تقريباً عولجت من بينها ستون حالة.

الاتجاه القياسى (النظريات العاملية):

ويدعو أصحاب هذا الاتجاه إلى إحلال الإجراءات المنطقية والموضوعية إلى حد كبير – محل الطريقة الحدسية – كما أنها لا تستمد سماتها الفريدة من حجرات المعالجين أو من معمل الحيوانات، بل تقوم في جوهرها على مجموعة من المتغيرات أو العوامل التي تكمن وراء

ذلك التعقيد الشامل للسلوك والسعى لتفسيره. وتستخلص تلك المتغيرات من دراسات السلوك المتسعة المدى التي تشمل عدداً كبيراً من المفحوصين، والتى تستخدم العديد من المقاييس التي تكفل سهولة التقدير الكمي، إستناداً إلى الأساليب الإحصائية المتقدمة (كأسلوب التحليل العاملي).

الأبعاد الأساسية للشخصية عند ايزنك: Hans J. Eysenck

تبنى الشخصية – عند ايزنك – وفقا لنموذج هرمى، توجد على قمته أنماط الشخصية الثلاثة العامة وهى: «الانبساط – الانطواء»، «العصابية – الاتزان»، «الذهانية – السواء» – ويضيف ايزنك إلى هذه الأنماط بعدين آخرين يفضل دراستهما كعوامل مستقلة وهما عاملى «الذكاء» والذى يمثل العامل العام في المجال المعرفي، وعامل «المحافظة مقابل الراديكالية» وهو العامل الأساسى في الاتجاهات.

ويتدرج النموذج الهرمي عند ايزنك إلى مستويات أربعة لكل نمط من الأنماط المختلفة:

المستوى (١): ففى أدنى الهرم يوجد المستوى الخاص بالاستجابات الخاصة أو النوعية م – أ١، م – أ٢، ... وهى تمثل أفعالا كاستجابات لاختبار ما أو لخبرات الحياة اليومية التي لا ترقى لمستوى العادة.

المستوى (٢): وفي المستوى الثانى توجد الاستجابات التى تظهر

تحت الظروف المتشابهة (العادات) (أ-ع١، أ-ع٢، ..) استجابات عادية.

المستوى (٣) : وينتج عن تنظيم الأفعال السلوكية (العادات) فى سمات س١، س٢، س٣،..

المستوى (٤) : وفى هذا المستوى تتجمع السمات وتنتظم فيما بينها مكونه النمط.

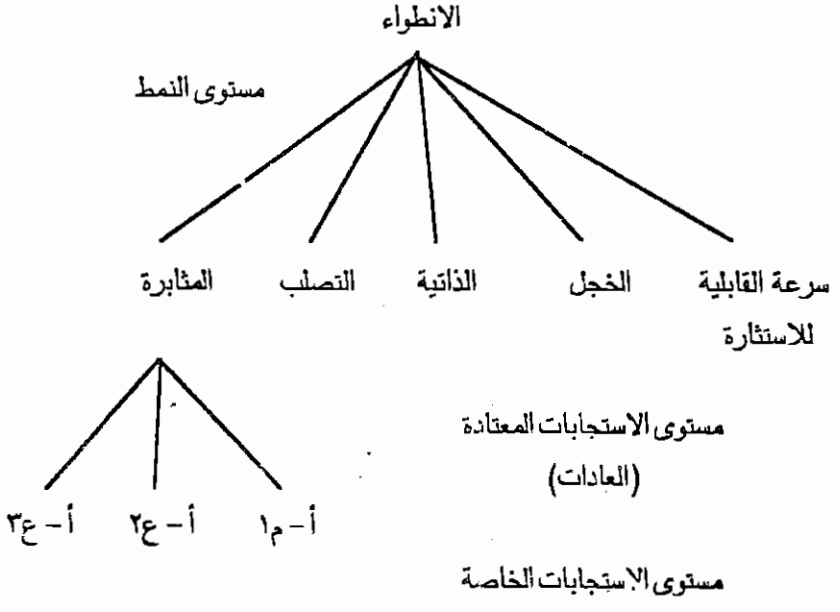

والشكل يوضح بناء نمط الأنطواء «وفيما يلى شرح مختصر لعوامل ايزنك»

١- بعد «الانبساط - الانطواء» عامل ثنائى القطب، يشير إلى مجموعة من المظاهر السلوكية التي تتراوح بين الميول الاجتماعية والاندفاعية والمرح والتفاؤل وأخذ الأمور هوناً (الانبساط) وبين

الخجل الاجتماعى والتربوى وعدم الاندفاع والتباعد والاعتزال والتشاؤم والمثابرة والجدية (الانطواء).

٢- بعد «العصابية - الاتزان» ويجمع هذا المتصل بين مظاهر حسن التوافق والثبات الانفعالي (الاتزان) وبين اختلال هذا التوافق وعدم الثبات الانفعالى (عصابية).

والعصابية ليستَ هى العصاب أو الاضطراب النفسى بل هى الاستعداد للإصابة به، تحت تأثيرات مرتفعة من ضغوط البيئة الخارجية.

٣- بعد «الذهانية - السواء» ويوصف الشخص الذي يحصل على درجة مرتفعة على بعد الذهانية بأنه: بارد، وعدواني، وقاسى مما يؤدي إلى أنواع من السلوك المضطرب والمضاد للمجتمع، كما يتميز الذهانى بأنه أقل طلاقة وأقل تركيزاً وضعفاً في الذاكرة ويميل للقيام بحركات أكبر، ومستوى طموحه منخفض.

عوامل الشخصية عند كاتل: Raymond Cattel, 1950

يرى كاتل أن «هدف البحوث النفسية في الشخصية هو تحديد قوانين تتعلق بما سيفعله الأفراد المختلفون في جميع أنواع المواقف الاجتماعية والبيئية العامة.. أن الشخصية تتعلق بكل سلوك الفرد سواء كان صريحاً أو ضمنياً».

ويميز كاتل بين نوعين كبيرين من السمات: السمات المركزية

(المصدرية) وتتميز بأنها ثابتة. وتعد المادة الأساسية التى تساعد على تحديد وتفسير السلوك الإنساني. وتُعتبر الأساس الذى تنبع منه السمات السطحية. ويقصد بالسمات السطحية أنماط السلوك الظاهر التى يمكن مشاهدتها ومتابعتها. فالعصابية عند ايزنك تصبح سمة سطحية عند كاتل، أما الصفات الكامنه التي تكّون العصابية (مثل: التوتر، والخجل، واختلال الاتزان الوجدانى) فتصبح سمات مصدرية (مركزية) عند كاتل – انظر الشكل:

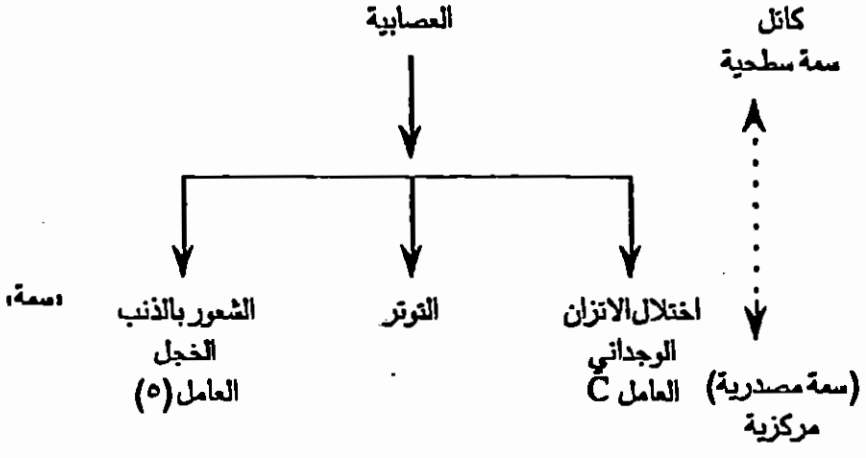

وقد أمكن لكاتل أن يكشف عن مجموعة من السمات المركزية يتراوح عددها بين (١٦ – ٢٠) سمة وفيما يلي قائمة بالعوامل التي توصل إليها كاتل ووضعها تحت اسم (16PF).

عوامل الشخصية للراشدين:

A أ- الاجتماعية ضد العدوانية: اجتماعي ومحب للناس وسهل المعاشرة ضد عدواني وناقد ومنسحب.

B ب- الذكاء العام ضد الضعف العقلي: ذكى ضد غبى.

C جـ- الثبات الانفعالى (قوة الأنا) ضد عدم الثبات الانفعالي العقلي ضعف (الأنا): ثابت انفعالياً وناضج وهادئ ضد انفعالى وغير ناضج.

E د- السيطرة ضد الخضوع: عدواني ضد وديع.

F هـ- الانبساط ضد الانطواء: مبتهج ومرح ضد هادئ وقلق.

G و- قوة الأنا الأعلى ضد ضعف الأنا الأعلى: مثابر ومصمم ضد غير مثابر ولا يعتمد عليه.

H ز- المخاطرة والإقدام ضد الحرص والخجل: مغامر ومندفع ضد خجول ومنعزل.

I ح- الطراوة (الحساسية) ضد الصلابة (أو التبلد)

L ط- التوجس والشك ضد الميل للإطمئنان والتقبل.

M ى- رومانتيكى ضد واقعى: خيالى وقلق ضد واقعى وعملي.

N ك- التبصر والدهاء ضد السذاجة، سريع وواقعي وقادر ضد مبهم وحساس ولا يضبط انفعالاته.

O ل- الثقة الكاملة بالنفس ضد الميل للشعور بالإثم: يثق بنفسه ومرح ضد حساس ومهموم.

Q١م١- التحرر ضد المحافظة: منطلق ضد متبلد.

Q٢م٢- الاكتفاء الذاتى ضد الاعتماد على الجماعة: يعتمد على نفسه ضد يعتمد على الجماعة.

Q3م٣- قوة اعتبار الذات ضد ضعف اعتبار الذات: يسيطر على نفسه قوي العزيمة ضد متهاون ولا يسيطر على انفعالاته.

Q4م٤- شدة التوتر الدافعي ضد ضعف التوتر الدافعى: متوتر وسهل الاستثارة ضد متزن وهادئ.

وقد استخدم كاتل ثلاث وسائل في قياس الشخصية هى تقديرات الملاحظين واستبيانات يجيب عليها المفحوصون بالإضافة إلى الاختباراتالموضوعية.

سمات الشخصية

عنـــد (جوردن البورت)

عند البورت: 1961, 311

«إن الطبيعة الإنسانية، مثل كل ما هو طبيعي مكون من بناءات أو هياكل ثابتة نسبياً».

والسمة هي الوحدة البنائية الاكثر فائدة والتي يستطيع السيكولوجي أن يهتم بها ويعرفها كما يلي:

«السمة هي بناء نفسي عصبي، لديه القدرة على تقديم واستخراج مثيرات عديدة متساوية من الناحية الوظيفية، وأيضا لبدء واستهلال وتوجيه أشكال متساويه من الأنماط السلوكيـة التوافقية والتعبيرية» (1961, 347)

أنواع السمات: (تصنيف السمات)

١- **عامة وخاصة:** فالسمات العامة هي تلك المظاهر من الشخصية التي يمكننا أن نقارن بها بصورة معقولة ومفيدة وبين معظم الأفراد في بيئة ثقافية معينة، كما أن السمة الخاصة تعبر عن ما هو حقيقي فعلا داخل شخص ما.

٢- **السمات الرئيسية والمركزية والثانوية:** قد تختلف السمات بالنسبة لدلالتها وأهميتها في بناء الشخصية.

الرئيسية: حيث يتميز عدد قليل من الأفراد بأن لديهم سمة واحدة قوية إلى حد أن معظم أنماط سلوكهم تتأثر بها (Cardinal).

المركزية : معظم الأفراد يعكس سلوكه الكلي وظيفة ما بين خمسة إلى عشرة سمات بارزة (Central)

الثانوية : حيث توجد بعدذلك وهى أقل وضوحاً وأقل اتساقاً كما أنها تستدعي لأداء وظيفتها بصورة أقل من السمات المركزية.

٣- السمات الوراثية والسمات المكتسبة :

السمات المكتسبة: هى تلك السمات القريبة من السطح الخارجي، أما السمات الأصلية فهي التي تصل إلى قلب أو إلى الجزء المركزي في بناء الشخصية.

بعض الحقائق الهامة للسمات :

١- **حقيقة السمات :** يرى البورت أن السمة نظام فسيولوجي عصبي داخل الفرد ذاته ويأمل أن يصل المتخصصون الفسيولوجيون إلى تأييد ذلك.

٢- **الاستدلال على السمات :** يمكن الاستدلال على السمات من خلال:

أ- ملاحظة سلوك الفرد.

ب- تنظيم هذه الملاحظات لكى تصل إلى استدلال حول السمات التي قد تكون موجودة داخل الشخص.

ويشير ألبورت لذلك بقوله: «لا يوجد فعل هو نتيجة لسمة واحدة فقط» Multiple Causation

٣- **قابلية السلوك للتغيير:** يؤكد ألبورت على أنه «لا توجد نظرية للسمات صادقة إلا إذا وضعت فى اعتبارها ابتداءا قابلية التغيير فى سلوك الفرد، بالإضافة إلى توضيحها لأسباب ذلك».

٤- **العلاقة المتبادلة بين السمات:** ترتبط سمات عديدة ببعضها البعض كما في المثابرة والصلابة وقد تأخذ تلك الارتباطات صورة سالبة.

٥- **علاقة السمات بالعمر الزمني:** تتغير سمات الفرد أثناء النمو، والبالغون يكونون أكثر استقراراً وثباتاً من الأطفال.

٦- **تعديل السمات عن طريق التعلم:** تصاغ السمات إلى درجة كبيرة عن طريق الخبرات التعليمية.

وحدة الشخصية: يرى ألبورت الإنسان على أنه شئ ما أكبر من مجموع سماته البارزة الملحوظة.

وعندما نركز على سمات شخص ما، فإننا نتعامل تحليلياً مع ما قد يسمى بالأجزاء المكونة لبناء شخصيته، وفى عمل مثل هذا فثمة خطر دائم في وصفنا له كحزمة أو كمجموعة من السمات غير المترابطة، وحينئذ نفشل في التعرف على درجة الوحده الموجودة بالفعل داخل هذا الفرد.

ولذلك فيجب أن نتعامل مع الشخصية بإدراك أوسع من خلال استحضار مفهوم الذات، فمصطلح الذات هو الذى يتضمن عند ألبورت معنى الوحدة في الشخصية.

الاتجاه الانسانى فى علم النفس

مقدمة:

يمثل الاتجاه الإنسانى فى علم النفس اتجاهاً حديثاً رغم تقدمه السريع نحو احتلال مركز القوة الثالثة بجانب التحليل النفسي والسلوكية، ويعتبر كارل روجرز، وابراهام ماسلو من مؤسسى هذا الاتجاه ويرفض أنصار هذا الاتجاه المسلمات التى يقوم عليها التحليل النفسي والسلوكية بالإضافة إلى رفض مصطلحاتهم في تفسير السلوك الإنسانى.

ويقوم المذهب الإنسانى على أساس عدد من المسلمات من أهمها:

١- **الانسان خير:** على عكس ما رأى أنصار التحليل النفسى في أن الإنسان عدواني وأنانى لاهم له إلا إشباع رغباته ولهذا فهو في صراع دائم مع المجتمع.

فى حين تنظر السلوكية للإنسان نظرة محايده تتوقف على من سيعلمه وعلى البيئة التي يعيش فيها. ويفسر الاتجاه الإنسانى عدوانية الإنسان وأنانيته على أنها أعراض مرضية نتيجة لما يلقاه الإنسان من إحباطات.

٢- **الإنسان حر فى حدود معينة:** وهذه هى أهم مسلمات الاتجاه الإنسانى وأكثرها تمييزا له حيث يرفض أنصار هذا الاتجاه مبدأ الحتمية النفسية عند كل من التحليليين والسلوكيين.

فالإنسان حر في اختيار ما يناسبه من أوجه النشاط وهو حر في

اتخاذ ما يراه من قرارات وهى حرية محدودة ولكنه تبقى في النهاية حراً ويستتبع ذلك ظهور مصطلحات قد اختفت منذ فترة طويلة في ميدان علم النفس مثل الإرادة.

٣- **الإنسان فى نشاط مستمر وهادف:** فليست استجاباته وقفاً على ظهور المثيرات البيئية بل تدفعه إلى النشاط رغبته في تحقيق أهداف معينة، وقد ظهرت مصطلحات تعبر عن هذه الأهداف وتحمل معنى النماء وتحقيق الإمكانات التى زود بها الانسان مثل تحقيق الذات والابتكار والتلقائية وغيرها.

٤- **الخبرة:** وهم يتبعون فى تبنى هذه المسلمة المنحى الفينومونولوجي «الظاهرياتي» الذي يؤكد على دراسة الخبرة الحاضرة للفرد كما يدركها من يمر بها وليس كما يدركها الآخرون ولذلك فهم يرفضون الأساليب التي يستخدمها المحللون النفسيون فى تفسير سلوك المريض عن طريق تحليل المحتويات اللاشعورية للمريض وأنها تمثل في رأيهم المحتويات الشعورية للمعالج ذاته.

٥- **إن الفهم السليم للشخصية الإنسانية يأتى عن طريق دراسة الأصحاء منهم:**

وبذلك فهم يرفضون ما يقول به الفرويديون من اشتقاق بياناتهم عن طريق الحالات المرضية ويرون أن فهماً سليماً للإنسان ينبغي أن يأتي عن طريق الأصحاء ممن وصلوا إلى مستويات مناسبة من تحقيق

الذات ومن يعيشون لتحقيق أهداف معينة فى حياتهم وغيرها من دلائل الصحة النفسية.

(انظر عبد السلام عبد الغفار، مقدمة فى الصحة النفسية)

وتعتبر آراء «ماسلو وروجرز» التي يمكن اختصارها فيما يلي أكثر توضيحا لأفكار أصحاب هذا الاتجاه.

نظرية الذات عند كارل روجرز:

تقوم النظرية على مجموعة من الأسس يمكن اجمال أهمها فيما يلى:

١- يعيش كل فرد في عالم خاص به حيث يكون هو مركز هذا العالم.

٢- يعتبر تحقيق الذات والسعى إلى الابقاء عليها والرغبة في تقويتها هى القوى المحركة للفرد في سلوكه.

٣- يستجيب الفرد «للحقيقة» في المواقف المختلفة كما يدركها هو في أسلوب يتسق ومفهومه عن ذاته.

٤- يستجيب الفرد لما يدركه من تهديدات بدفاعات مختلفة كالجمود وتضييق المجال لحماية الذات.

٥- يسعى الإنسان إلى تحقيق الكمال ويختار من الأساليب السلوكية ما يؤدى إلى نمو الشخصية وتحقيق الذات.

ويرى «روجرز» أن مفهوم الذات ينمو أثناء ملاحظة الأطفال

لسلوكهم وسلوك الآخرين وأنه فى خلال عملية التنشئة يكون الطفل مفهوماً عن ذاته الواقعية والمثالية. ولذا فمرحلة الطفولة تعد مرحلة هامة في نمو الذات ويصبح محور الشخصية عند «روجرز» هو إدراك الفرد لذاته «أو لنفسه» ويقصد «بالذات» كما يفهم من كتابات «روجرز» الوعى بالكينونة بالإضافة إلى الأفكار والمشاعر التى يدركها الفرد على أنها تخصه هو، وللوالدين تأثيراً كبيراً في بناء مفهوم الذات لدى أطفالهم فالأطفال يلاحظون ويتمثلون الأساليب التي يستخدمها الآباء في علاج المشكلات اليومية التي تواجههم «بهدوء أو بنظام أو باستعجال» ومواقفهم من الأحداث اليومية والاستجابة لها «كالميل للتحفظ ويقظه الضمير أو الجمود والاكتفاء الذاتي» بالإضافة إلى مدى تقدير الطفل لقدرته على حل المشكلات نتيجة لتفاعله مع الآباء والآخرين الذين يحتلون مكانة خاصة لديه «هل يثقون به، وكيف يستجيبون لما يصل إليه من حلول؟ ...إلخ» ويلعب المعلم دوراً هاماً في تهيئة الفرص التي تسمح للطفل باكتشاف ما لديه من كفاءات داخل المدرسة. فما يتمتع به المعلمون من خبرة وسلطة وإمكانية في مجال تقييم التلاميذ تجعلهم ذوي المكانة العالية والهامة. مما يمكنهم من دعم مفهوم الذات لدى التلاميذ تدعيماً إيجابياً أو سلبياً أو محايداً. كما يمكنهم من وضع أسلوب للتعامل يمكن أن يرفع أو يهبط بمستوى تحصيل التلاميذ.

وتعتبر طريقة روجرز في العلاج طريقة «عيادية» يطلق عليها العلاج غير المباشر أو العلاج المتمركز حول العميل حيث يقوم على:

* أن العميل هو الذي يطلب الإرشاد والعلاج.

* التركيز على مساعدة العميل بالتغلب على مشكلات الحياة اليومية عن طريق إعادة تغيير تصوره عن ذاته والعمل على تنظيم هذا التصور وجعله أكثر واقعية وتقبلا له.

* وتبدأ عملية العلاج عندما يدخل المعالج في علاقة شخصية وثيقة وذاتيه مع العميل تبدأ من منطلق احساس المعالج بأن العميل شخص ذون قيمة في حد ذاته دون قيد أو شرط بغض النظر عن حالته وسلوكه ومشاعره، مما يمكنه من وضع نفسه مكان العميل في كل لحظة من لحظات العلاج، متيحا لنفسه استخدام أكبر قدر من التسامح والتقبل والتعاطف مع العميل.

* وبالنسبة للعميل فإن هذا العلاج يعنى استكشافا لمشاعر مجهولة وخطيرة ومتزايدة الغرابة في نفسه، ولا يكون ذلك ممكنا إلا إذا أدرك أنه مقبول بلا قيد ولا شرط، فيعيش مشاعره ويكتشفها، ويجد سلوكه يتغير بطريقة بناءة وفقا لهذه الذات المعاشة الجديدة. فلم يعد يخاف مشاعره أو يخشاها، بل يزداد التطابق بين مفهوم الذات والخبرة والذات المثالية، مستبصراً لذاته ومتقبلاً لها.

نظرية ماسلو:

زاد الاهتمام بعلم النفس الإنسانى في الستينات من أهمية النظرة الشاملة كوحدة كلية للانسان. تركز على فهم الذات ووجهات نظرها الفردية «تفرد الإنسان».

اقترح ماسلو النظام الهرمى لحاجات الانسان على شكل أنظمة مرتبة بطريقة معينة بحيث يشبع الإنسان حاجاته الأولية قبل الثانوية وفقا لترتيبها وتتشكل الشخصية من خلال إشباع هذه الحاجات وإعاقة الإشباع وكلما حقق الإنسان مجموعة من الحاجات حلت محلها طلبات أخرى. يرتقي الإنسان «لتحقيق ذاته» لتحسين مستواه والوصول إلى المستويات العالية ونسبة ضئيلة هى التى تصل إلى هذا المستوى، تتم الصحة النفسية السوية بتحقيق الذات، وبعضنا لا يعرف إمكاناته الكامنة (ويأتي هنا دور المعلم والمدرسة في الكشف عنها).

لم تلق فكرته المزيد من الدراسة لصعوبة اختبار النموذج ككل والتحقق من هذه الفروض والتخمينات النفسية التي نجدها مقنعة.

الانسان فى التصور الاسلامى:

نكر ر القول مع المخاصين بأن ما نسعى إلى صياغته من تصور ليس حجه على الإسلام فالإسلام ليس مقيداً بما يقول، وما نقدمه وما نستعين به من اجتهادات العلماء والزملاء المسلمين هى مجرد اجتهاد يحتاج إلى المزيد من الجهد، ولذا نردد مع الأستاذ الدكتور سيد عثمان

(١٩٨٦ ص٢٩) قوله «أيها النفسانيون والتربويون من قومنا، الدنيا من حولنا، والأمانة في قلوبنا والصدق أمام أعيننا، كلها تطالبنا أن نتحرر فكراً ووجداناً، منهجاً وأسلوباً لنحرر إنساننا ببحث علمي حر، ليس المهم في العلم نتائجه، فمصيرها إلى غيب مجهول لا ندري كيف سيتعامل معها، إنما المهم هو صحة المنهج، وسعته ومرونته والأهم هو استقامة الفكر، وسلامة النية ووضوح القصد وعلى الله قصد السبيل».

لماذا تصور جديد لعلم النفس:

يتضح لنا من العرض السابق للتصورات والنظريات التي تناولت الطبيعة الإنسانية أن واضعي تلك النظريات يختلفون فيما يقدمونه من تصورات ونظريات باختلاف خلفياتهم أو أطرهم الثقافية كما يختلف أصحاب النظريات فيما بينهم من حيث ما يهتمون به من جوانب الشخصية، وفي نوع البيانات التي يجمعونها ومصادر تلك البيانات وهم أيضا فوق ذلك كله يختلفون فيما يضعونه من مسلمات. وليس لدينا من الوسائل التي تمكننا من الحكم على صدق هذه النظريات سوى بعض المحكات التي قد تكون نظرية أكثر منها تطبيقية وهذه النظريات جميعها هى في النهاية نتاج فكر أفراد معينين فهى ذاتية بمعنى الكلمة وهى نتاج فكر أفراد عاشوا في ثقافات مختلفة وتأثروا بعوامل ثقافية متباينة، وأعدوا إعدادا مختلفاً وتشعر بذلك من التناقضات الواضحة فيما تقدمه النظريات المختلفة عن الإنسان، الأمر الذي قد يصعب معه الخروج بصورة كلية وشاملة عن ماهية الإنسان وجوهره الحقيقي.

وهنا يجدر بنا أن نتساءل: هل نحن فى حاجة إلى تصور جديد حول الطبيعة الإنسانية؟ مما لا شك فيه أن أسبابا متعددة تجعلنا في أمس الحاجة إلى أن يسعى العلماء المسلمون للمساهمة فى تقديم تصور يعمل على مساعدة الإنسان «إنسان هذا العصر» على فهم نفسه ومحاولة تحريرها من قيود الحتميات التي قيدتها بها النظريات السابقة ومساعدته على التعرف على حقيقة وجوده والسعى لربط نفسه بالغايات الكبرى التي خلق من أجلها حتى يتسنى له الإيمان بالإله الواحد والتوجه لعبادته بدلاً من الالتجاء إلى عبادة الأصنام التي يصنعها لنفسه ثم يقوم بعبادتها بعد ذلك، ومن أهم الأسباب التي تبرز أهمية حاجتنا إلى تصور جديد ما يلي:

*** عجز النظريات التقليدية التي بين أيدينا عن تفسير الكثير من أوجه سلوك الإنسان:**

وهذا لا يعنى أننا نرفض كل ما جاء به علم النفس المعاصر رفضاً مسبقاً يشمل كل التصورات وجميع النتائج ففي ميدان علم النفس المعاصر الكثير من النتائج التى تستحق أن نعتني بها ونعمل على توظيفها والإستفادة منها خاصة ما يتسق منها ويتفق مع تصوراتنا عن الإنسان على أن نترك النتائج والجزئيات التي لا تنتظم في سياق متكامل مع تصورنا عن الشخصية الإنسانية أو ما يرتبط منها بقشور سطحية حول تلك الشخصية. وعلى سبيل المثال فهذا هو «التحليل النفسي» ما الذي قدمه في ميدان نمو علم النفس وتطوره؟ فلا يزال ما

قاله «فرويد» منذ نصف قرن يردده البعض دون تغيير سوى ازدياد فى الغموض فالتحليل النفسى نظرية جدباء عقيمة لا ثمرة لها وتأتي السلوكية لترفض كل ما قال به التحليليون ويدعون الموضوعية والتزام القواعد العلمية.

وقد أغفل الفرويديون والسلوكيون معاً أو تغافلوا عن دراسة جوانب أساسية في حياة الإنسان ورفضوا الحديث عن إرادة الإنسان وحريته فى ممارسة هذه الإرادة وقدرته على الاختيار كما أهملوا الحديث أيضا عن قدرة الإنسان على السمو والالتزام بدين معين، وهذه جميعا جوانب هامة تحدد طبيعة الإنسان.

(انظر عبد السلام عبد الغفار ١٩٧٣ ص٢٨)

السبب الثاني يرجع إلى صعوبة نقل نموذج أو إطار عن الشخصية من ثقافة إلى ثقافة:

حيث لا يستطيع المفكر أو واضعوا النظريات إهمال العوامل الثقافية التي نشأ فيها الفرد ويعيش فى ظلها والتى تؤثر بدورها فيما يدركه وما يهتم به فالحقيقة الموضوعية الواحدة تعلمنا أن إدراكنا لها يختلف باختلاف العوامل والظروف التي يعيش في ظلها كل منا. ولهذا يصعب علينا قبول نموذج عن الشخصية وضع فى ثقافة غير ثقافتنا.

بالإضافة إلى كل ما سبق ومع اعتبار الأخطاء والعيوب التي وقعت فيها التصورات السابقة عن الإنسان فنحن على يقين بأننا لا نستطيع أن

ندرس النفس الإنسانية بمعزل عن الخالق سبحانه وتعالى فهو أعرف بما خلق «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» وفي غياب الحقيقة سوف لا نستطيع أن نعرف طبيعة الإنسان ولن نتمكن من تحديد المعايير التي تجعل لوجود الإنسان معنى وأهمية تجعل من الحياة وسيلة بدلاً من كونها غاية وهكذا يسترد الإنسان كرامته فيرتقي بنفسه ليصبح بحق خليفه الله في الأرض.

أهداف علم النفس (التصور الإسلامى لأهداف علم النفس) :

- علم النفس والغايات العظمى من العلم:

وعن غياب الأهداف الغائية في علم النفس يشير تيرنر (Turner, 1960) في الكلمة الافتتاحية لمؤتمر الرابطة الكندية لعلم النفس بقوله: «أن علم النفس يزخر بالمحرمات Ultimate Aims. وأكثر ما يتضح في هذا الصدد شيوع الجو الفلسفى الخاص بالوظيفة المنطقية أو الأمبيريقية العلمية مع إنكار للغيبيات، وهو إنكار لا طائل منه ويستمر إلى أن يقول «بما أن الأهداف الغائية أو القيم تلقى ذلك الاهتمام الضئيل فإنى أستطيع أن أذهب إلى القول: بأننا بدونها قد ترديا في حالة من الضياع سواء في حياتنا المهنية أو الخاصة (ج) تيرنر: علم النفس ما له وما عليه في علم النفس الإنساني (١٩٧٨ ص٤٠٦).

الهدف الأول: الفهم (الوصف والتفسير) :

فهم السلوك الحاضر ودوافعه كما هى لأن الفهم أساس المنطق

العلمي لفهم نفس الإنسان في مظاهره الجسمية، والروحية، والإدراكية، والانفعالية بكل وسائل البحث المفيدة من ملاحظة واستبطان وتجريب واختبار وقياس لمعرفة «البناء النفسي».

الهدف الثانى: التنبؤ:

مقدرتنا على التنبؤ الذكى المنتظر لأن ذلك يعيننا على تقديم الوقاية قبل العلاج فالإنسان عموما في تكوينه ونموه النفسي يسير غالباً على السلم التتبعي في المقدمات والنتائج خلال سني العمر، وهذا واضح في الحالات التطبيقية فى مجالات الحياة وهل نستهدف في نطاق مجتمع معين أن ننشئ نموذجاً يمكننا من التنبؤ والتحكم أعتقد أن هذا مستحيل ففارق كبير بين أن نكتشف قواعد اللعبة وبين أن نتنبأ بنتائج المباراة وأن نتحكم فيها فضلا عن الاستحالة. هل نحن بصدد هدف نبيل أو مقدس يستحق كل هذا العناء والإصرار للوصول إليه؟

ماذا يعنى مثل هذا الهدف عمليا إذا تحقق؟ إنه إلغاء لحيوية المجتمع المتجددة وتحويل المجتمع إلى آلة كبيرة محكومة الحركة مضبوطة الأزرار أنه تسريع لقيام الدولة الشمولية وتكثيف لوظائفها.

الهدف الثالث: التوجيه (الضبط الذاتى)

وهو هدف خلقي في أهميته – الضبط الذاتي – للدوافع والمظاهر والغايات فالإنسان وهو الكائن الحى الذكى المسئول عليه أن يتحمل مسئولية دوافعه في إثارتها وتوجيهها وفي مظاهره السلوكية سواء أو

انحرافا وفى أهدافه سمواً أو هبوطاً.. أنه مسئول وحيث أن الدوافع والميول عمياء وهوجاء فلدى الإنسان بفطرة الله (ذكاء يقوم بعملية (الضبط الذاتى) أو (التحكم العاقل) وهناك فرق كبير جدا بين عملية الكبت التي تنكر الدوافع أو تخفيها لتسبب أمراضا واضطراباً بين (عملية الضبط) التي توجه الطاقة الفطرية للإشباع في المجال والزمان والمكان المناسب لذلك.

الهدف الرابع: «إن خير من استأجرت القوى الأمين» توضّح الاية.

السمو الإنساني: توجيه كل الدوافع والانفعالات والعمليات العقلية لمرضاه الله تحقيقاً للسمو الإنساني النبيل المتصل دائما بالله تعالى، وإشباع الدوافع الفطرية ما دام إشباعها في سبل مشروعه هى خير وقربى. فإشباع دوافع الأكل والنوم والجنس والتملك وانفعالات الفرح والحزن والرضى والغضب واستعدادات التعلم والتذكر مادامت فى سبيلها المشروع وابتغاء تجديد النفس لعمل الخير فهى عبادة لله تعالى كما تعتبر أساساً أنماط العبادة المأثورة من صلاة وصوم وصدقات وعبادة أصلاً وبذلك تصبح الحياة الانفعالية والإدراكية والسلوكية للنفس الإنسانية عبادة مستمرة، ومتجدده، ومتنوعة في التصور الإسلامى كما قال الله تعالى «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» (الذاريات/ ٥٥-٥٦)

المسلمات النظرية التى يقوم عليها التصور المقترح

المسلمة عبارة عامة تمثل موقف المفكر الأساسي حيال قضية فكرية عامة وتقبل المسلمة إذا ما ثبت صحة الفروض التي تستنبط منها وفيما يلي المسامات التي يمكن أن يقوم عليها التصور المقترح:

١- الإنسان مخلوق لغاية: وهذه الغاية يحددها الله سبحانه وتعالى في قوله «وإذا قال ربك للملائكة إنى جاعل في الأرض خليفة» (البقرة٣٠) وتحدد دلالة تلك الغاية فيما يلي:

أ- أنه خليفه الله الخالق للكون. ولابد للخليفة أن يكون مزوداً بوسائل الخلافة فسخرت له السموات، والأرض وقضى الله تعالى أن تكون إرادته مقضبه بإرادة الإنسان وأفعاله وقد نفخ الله فيه من روحه لذا فالإنسان يمتاز بجوانب ربانية.

ب- أن خلافة الإنسان تتمثل في إعمار الأرض بكل خير ونماء وسعادة وليس فى محاولة خرابها وتدميرها وتحويل حياة البشر إلى حروب وقلق وصراع.

جـ- أن خلافة الإنسان على الأرض تأتى عن جدارة حيث أعده الله سبحانه وتعالى عن طريق العلم والتعلم لامتلاك أسباب تلك الخلافة حيث علم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها.

وتشير هذه المسلمة الرئيسية والاساسية في هذا التصور إلى أن دراسة النفس الإنسانية وما يتصل لها لا يمكن أن تتم بمعزل عن خالقها

أى عن الله سبحانه وتعالى، وعلى الإنسان الباحث أن يستمد دائما من نور الحق الهداية والاستفتاح حتى لا يضل الطريق ولا ينحرف عن السواء.

٢- الانسان مخلوق فريد:

يختلف الإنسان عن غيره من المخلوقات اختلافا أساسياً ودراسة الفطرة الإنسانية تؤكد هذه الحقيقة (وسوف نعاود تناول موضوع الفطرة بالتفصيل في محاولة التعرف على الطبيعة الإنسانية) ولهذا فالإنسان مخلوق متفرد فهو ليس حيواناً وليس ملاكاً له من القابليات العضوية والتكوينية ما يبدأ من قابليته لا نتصاب قامته وحتى تفرد تكوين جهازه العصبي وقابليات معرفية تمثل فيها اللغة الوادي الخصيب في جنة فطرة الإنسان التي فطره الله عليها. فباللغة يتحدد معنى الإنسان وبها تتنور جنبات وجود الإنسان بالإضافة إلى قابليته للتجريد بما يحمله من عطاء في قابليات المرونة المعرفية والتوجيه الذاتي وقابليات اجتماعية وأخلاقيه تتمثل فى قابليات البقاء الفردى مع الوجود الاجتماعى ومتضمنة لقابلية التعاطف وقابيلات الحاسه الاخلاقية وقابلية الإيثار.

مضافاً إلى ذلك كله القابليات الجمالية وقابليات الفكاهة والتدين التي تبرز مدى أهمية المسلمة الأولى في تحديد أى تصور أو إطار لدراسة الإنسان.

٣- للانسان ارادة:

الانسان مخير لا مسير في الوقت ذاته فالإنسان حر في كل ما يتعلق بمدركاته وحيز وجوده وهى حرية تقوم على إدراك طبيعة الحياة التي يحياها ودوره فيها وحريته وهذه أهم ملامح إنسانيته، وعلى الإنسان أن يدرك بعقله أن حريته محدوده وتحد هذه الحرية مواقف لا يستطيع فيها اختياراً ويستتبع إعطاء الانسان حرية الاختيار أن يتحمل المسئولية في كل ما يتاح له فيه خيار وعليه أن يعي ويدرك أن هناك مساحة لا يمتلك فيها الاختيار وهنا فعليه أن يقبل قضاء الله وخياره ويرضى ويقتنع بأنه هو الخيار الأفضل له وتصبح القضية «أنه» مسير حينما لا يستطيع بإدراكه المحدود وارداته القاصرة على تخطي مساحتها وحدودها في الاختيار.

٤- الإنسان مخلوق ذو طبيعة مزدوجه:

فالإنسان قبضة من طين الأرض ونفخه من روح الله ويصبح الحديث عن الإنسان حديثاً قاصراً ويصبح النموذج المقدم نموذجاً مشوهاً إذا ما تحددت طبيعة الإنسان بتكوينه الجسماني العضوي والبيولوجي والعصبي فقط. ونحن لا ننكر ذلك الجانب الذي يمثل الطين والتراب، أديم الارض بل نؤكد على أهميته ولكن نضيف أن دراسة الإنسان لا تتم إلا بالتأكيد على جانبه الروحي، فهذا الجانب هو الذي جعل الإنسان أشرف وأكرم الكائنات الحية فهى التي سمت به إلى السماء.

«وإذا قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين» (سورة ص ٧١-٧٢)

الشخصية المسلمة

(عند: سيد عثمان)

الشخصية المسلمة: بداية فكرة .. وبدء طريق:

الشخصية المسلمة أو قل شخصية الإنسان عندما تصاغ صياغة إسلامية بنية موحدة، متماسكة، متناسقة، ذات صبغة متميزة، وصبغة متفردة، وتتكون هذه الشخصية المسلمة من عناصر ثلاثة (سيد عثمان ١٩٧٩) وهى: أولا: النواة: حيث تتركب الشخصية وتقوم حول نواة صلبة، قلب ثابت، نبع أصيل، تقوم على: العبودية لله، والتقوى، والإحسان.

(١) العبودية لله فيها إمكانات إثراء الهدف من وجود الإنسان. فلا معنى لوجود الإنسان إن هو انتسب إلى غير خالقه – المعنى الحق لوجود الإنسان هو انتسابه إلى الحق سبحانه، انتساب عبودية، الذى هو في جوهره، انتساب حرية.

(٢) وتقوى الله فيها إمكانات إثراء وجود الإنسان.

وقيمة الإنسان في استقلاله، واستقلاله فى اخلاقياته. التقوى في صميم عملها في قلب الشخصية المسلمة، عنصر أخلاقي، يضبط، ويوجه ويختار، ويحاسب، وهذا مما يعطى الشخصية المسلمة استقلالها، وتميزها، وبصرها بموقفها من ذاتها، ومن الحياة، وبإدراكها لتبعاتها تجاه ذاتها، وتجاه الحياة، فإثراء الوجود النفسي للشخصية المسلمة

في عنصـر التقوى، هو إثراء رفعه لقيمة الانسان بقوة أخلاقياته وتساميهـا.

(٣) وفي الإحسان إمكانات إثراء الإنسان – فالاحسان مهما تعددت أوجهه وتباينت اتجاهاته هو احسان إلى النفس، عائد اليها تهذيبا، وتنقيـة، وترقية وكرامة فكل عمل محسن هو إضافة حُسن إلى الذات. وهو دفعة للذات إلى أمام، فيه رفع لها درجة إلى أعلى. للمحسن في الحياة كرامة الإنسان الذي يدرك في عميق وجوده معنى خلافته لله في الأرض. للمحسن في الحياة ثقة الإنسان الذي صحت عبوديته لله وصدقت تقواه، ثقته بالمصير، ولم تكن هذه الثقة النفسية إن لم تكن لمن كان الإحسان عنده روحاً يبثها في كل عمل يصدر عن وجوه فى كل مسلك من مسالك الحياة.

ثانياً: المعالم:

تنشأ من النواة الأصل، ويستند إليها وينمو منها معالم ثلاثة يرد كل مها إلى عنصر من عناصر النواة وهذه المعالم هى:

الحرية، والاستقلال، والكرامة.

١- فالحرية: هى نتاج للعبودية، لأن العبودية تحرر. تحرر القلب.

٢- والاستقلال: هى نتاج التقوى، لأن التقوى توجيه، توجيه الرغبة.

٣- والكرامة: هى نتاج الإحسان، لأن الإحسان تنفيذ، تنفيذ النية.

ثالثا: الملامح:

فإذا كانت معالم الشخصية المسلمة الثلاثة: الحرية، والاستقلال، والكرامة، تجلي صبغتها، وتفصل صيغتها، فهى تكشف كذلك عن ملامح عامة تنبثق من النواه الصلبة، وهذه الملامح هى:

١- التفرد: فالشخصية المسلمة متفردة متميزة، بينه التفرد، ناصعه التميز لأنها حرة بعبوديتها لله، وترسم هذه العبودية حدودها، وتحدد ملامحها.

٢- الإيجابية في الحياة: ولا يعني التفرد الانغلاق، بل هى إيجابية ومتفتحة على الحياة كلها.

٣- التفتح: ومن الإيجابية في الحياة التفتح على الآخرين، ورعايتهم وهدايتهم ومشاركتهم أمور الحياة، ابتداء بالأسرة ذوي القربى ثم الصديق ثم زميل العمل وشريك المعاملة.

٤- التوازن: من أهم ملامح الشخصية المسلمة توازنها الداخلي واتساقها الخارجي، التوازن في التفرد بين تميز الذاتية وبين الاستغراق في هموم الجماعة، وتوازن في الإيجابية، وتوازن في التفتح فهى لا تفتح على الحياة بغير حساب ولا تقبل عليها بلا ضوابط.

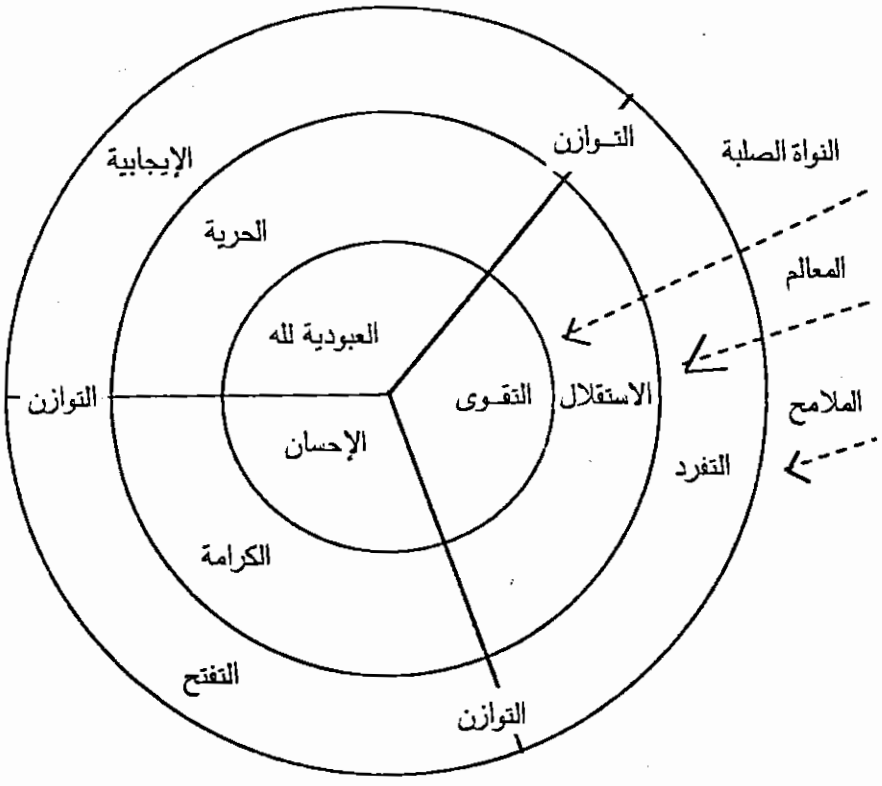
التـوازن
النواة الصلبة
الإيجابية
الحرية
المعالم
العبودية لله
التوازن
التقـوى
الاستقلال
الملامح
الإحسان
التفرد
الكرامة
التفتح
التوازن